هشام الحمراوي
قدم
رواية

نسخة إلكترونية

مُصرح بإعادة نشرها إلكترونيا دون التعديل عليه

هذه النسخة مُقدمة من الكاتب هدية لك، فرجاء دعمه بإعادة نشرها، وإهدائها، وتوزيعها، وكتابة مراجعة عنها على حسابك بموقع فيسبوك.

# قمر الدم

رواية

# قمر الدم

رواية

هشام الحمراوي

**إصدار: ديسمبر ٢٠١٧**

**رقم الإيداع بدار الكتب المصرية**

**٢٦٢١ / ٢٠١٧**

**كل ما ورد بهذا الكتاب هو مسئولية مؤلفه من حيث الآراء والأفكار والمعتقدات، وكونه أصيلاً له غير منقول، وجميع الحقوق محفوظة له.**

**الغلاف والإخراج الداخلي:**

**دار لوتس للنشر الحر**

**منشورات دار لوتس للنشر الحر**

شركة لوتس للإنتاج والتوزيع

**القاهرة الكبرى:**

١٦ شارع محمد موسى متفرع من أول شارع فيصل بجوار محطة مترو فيصل

هاتف: ٠١٠٩١٩٨٥٨٠٩ – ٠١١١٦٣٨٩٣٤٧

**الإسكندرية:**

٦ شارع بن دينار – محرم بك – امبروزو

هاتف: ٠١٠٦٨٦٣٨٣٧٧

**المغرب: الدار البيضاء**

٢٧٠ زنقة ١٦ – حي البركة – مولاي رشيد

هاتف: ٠٦٦٤٣٩١٢٦١

مشروع النشر الحر

أول مشروع من نوعه يمنح الكاتب كافة الحقوق، والحرية الكاملة لنشر كتابه بدون احتكار لمجهوده في عملية تجارية.

**للتواصل مع الدار والمشروع**

هاتف / واتس آب:

+2 01116389347 - +2 01091985809

الموقع الإلكتروني:

www.lotusfreepub.com

البريد الإلكتروني

Lotusfreepub@gmail.com

صفحة فيسبوك

www.facebook.com/lotusfreepub

# إهداء

لمن سيكون إهداء أول رواية لي؟
الوالدين؟ أكيد، أليس كل ما أنا فيه بفضل دعواتهما؟
الزوجة الحنون؟ لابد، وإلا استحالت حياتي جحيما تراقصت شياطينه على أنغام أنّاتي.
ابنتي البارة؟ كيف لا وهي وحيدة أبيها المدللة.
إخوتي؟ طبعا هم السند رغم تباعد المسافات.
زوجة أبي.. لم تستغربون؟ تبا للسينما التي سممت أفكاركم.
صديقي الصدوق؟ سلام.. سلام يا صاحبي.
لكن قد يبدو غريبًا لكم أن يكون ضمن من أُهدي إليهم عملي الأول فتاة مجهولة، فقط لا تخبروا زوجتي فلن تتفهم الأمر حتى لو أقسمت لها بأغلظ الأيمان أني لا أعرف هذه الفتاة، أجل فتاة لولاها لا أعلم إن كان هذا العمل سيجد طريقه إليكم أم لا، كنت قد يئست من العثور على دار نشر تتبنى عملي، أنا الذي ما زلت أتعلم الحبو في هذا العالم عندما جاءتني رسالتها على الموقع الأزرق، وأنقلها بدون تصريف:

**«السلام عليكم، قرأت لك منشور تبحث عن دار نشر، هناك دار نشر لكن لن يكون لك منها ربح مادي إلا أنها جيدة، وهي جديدة اسمها دار لوتس للنشر الحر أو يمكنك الاتصال بصاحبها مباشرة، ستجد شعار لوتس، ستمكنك من نشرها حسب الطلب حيث يمكنك، ومن يرغب شراء عملك ورقي وبمبلغ صغير جدا وهو ثمن الطباعة فقط، وبعد مدة سينشر العمل إلكتروني، هي فعلا دار جديدة لكنها جيدة، المشكل الوحيد أنهم لا يستطيعون إرسال النسخ المطبوعة إلى خارج مصر.. وآسفة على الخاص»**

والآن العمل بين أيديكم بفضل الله تعالى أولًا ثم بفضل هذه الرسالة ثانيًا.
فشكرا لهذه الأخت وأرجو أن تقرأ إهدائي يوما ما.

# يوم الإعدام

دلو ماء أيقظه من إغماءته
فتح عينيه فرأى الأرض أمامه وعنقه فوق خشبة الإعدام
فجأة تذكر كل شيء
– أنت ترتكب خطأ كبيرا.. ما كنت لأؤذيها أبدا خرجت الحروف ضعيفة لكنها مسموعة.
– قل هذا الكلام للشيطان عندما تقابله في الجحيم الذي سأرسلك إليه
أجابه مخاطبه قبل أن يتبع كلامه بأمر اجتمعت المدينة كلها لتشهد تنفيذه.
– نفذ..

# الفصل الأول

قبل مئات السنين..

بأنفاس لاهثة وأرجل مرتجفة وقف مانزو وإريس أمام كهف بالكاد يكفي مدخله لمرورهما..

مازالا يقاومان الدوار الشديد الذي يعصف برأسيهما...

– إريس.. هل أنت واثق من أنه الكهف المنشود؟

يرمقه إريس بعين نصف مفتوحة قبل أن يجيبه:

– لا

نظرة دهشة تطل من أعين مانزو فيقول وهو خائف من الإجابة:

– لا تقل لي أننا غامرنا بأرواحنا من أجل وهم؟

يشير إريس لمدخل الكهف قائلا:

– لندخل..الحقيقة توجد هناك قابعة في الظلام وسط هذه الأطنان من الثلوج المحيطة بنا

ودون أن ينتظر رد مانزو يحشر جسده ويختفي في الظلام، كشخص منوم مغناطيسيا يدخل مانزو ورائه، مرت ثواني عديدة قبل أن تألف أعين مانزو الظلام.. هناك ممر أمامه يبدو وكأنه تكون من المرور المتكرر لقطيع ما أو شيئا ما.

مرت هذه الخاطرة في ذهن مانزو وهو يتخيل الياتي رجل الثلوج الأسطوري، ارتعدت فرائصه فطرد هذه التخيلات وهو يتبع إريس الذي يبدو وكأنه يعرف كل شبر من هذا الكهف، لو كان مانزو في ظروف طبيعية لتوجس منه خيفة، لكنه الآن لا يملك رفاهية التوجس والشك، يمشي وراء رفيقه

وكل ما يفكر فيه أن تحقيق حلمه يقترب، نشوة غلبت على غرائزه فلم يلحظ عشرات الأعين التي تراقب الدخيلين الذين اقتحما عليهم حرمهم، كل ما في تفكيره هو الخلود... الخلود...

– الخلود؟

تخرج هذه الكلمة من فم مانزو ساخرة مما قاله صديقه إريس.. هذا إن سماه صديقا فلم يمر أسبوع واحد على لقائهما الأول، لكن مانزو أصبح لا يفارق هذا الصديق الجديد إلا للذهاب للنوم.

– هل تعلم يا صديقي؟ لكل أسطورة جانب من الحقيقة

– الخلود ليس أسطورة بل خرافة

– الخلود سر لكن حمله ثقيل له شرط مهم وأغلب من وصلوا للسر لم يتوفر فيهم الشرط ولذلك أهلكتهم أنغرا ماينيو

(أنغرا ماينيو قوة شريرة في أساطير الفرس)

– أنغرا ماذا؟

– أنغرا ماينيو إنها حارسة السر وواهبة الخلود كل طالب للخلود كانت نهايته على يدها إنها رحيمة لكنها لا ترحم

يقهقه مانزو قائلا:

– كم أنت مسلي يا إريس، رحيمة لكنها لا ترحم

– ستفهم ما أقول إن كان لك نصيب معي في الخلود

– وما دمت واثقا هكذا لماذا لا تذهب وحدك وتستفرد بالخلود؟ لماذا تريدني معك؟

– الشرط يا صديقي.. الشرط

– أوضح.. فقد ضاق صدري بألغازك

– ماذا تعرف عن يوم ميلادك؟
– كفى يا إريس وتحدث بوضوح
– قمر الدم.
فجأة وكأن مانزو فهم كل شيء، دائما ما كانت أمه تحدثه عن القمر الضخم الأحمر الذي زين السماء ليلة مولده، ليلتها حمله أبوه عاريا لم يبلغ دقائق من عمره ورفعه أمام القمر الأحمر وكأنه يقدمه له قربانا.
(أثناء الخسوف الدامي على الأرض، تكون الأرض في خط مستقيم بين القمر والشمس، لذا فإن أشعة الشمس تحجب عن القمر بشكل شبه كلي، إلا أن ضوء الشمس يمر من خلال طبقة رقيقة لجو الأرض ويتشتت فيها، فتتشتت الألوان منها الأحمر والأخضر والأزرق، وتنفذ أشعة الشمس الحمراء لتضيء القمر باللون الأحمر، ويعود تشتت الألوان الأخرى عند مرورها بجو الأرض إلى قصر موجاتها، مقارنة بطول اللون الأحمر التي تستمر في طريقها وتسقط على سطح القمر وتضيئه بالضوء الأحمر، وتُسمى هذه الظاهرة ظاهرة القمر الأحمر).

– وصلنا
نطقها إريس دون أية انفعالات وكأنه أمر يقوم به بشكل دوري. لكن الحال كان مختلفا لدى مانزو فقد انقبض قلبه بشدة وتضاعفت نبضاته حتى كاد يصاب بأزمة قلبية.
الخلود.. هل هو فعلا حقيقة؟ صحيح أنه تبع إريس لآلاف الكيلومترات لكنها كانت مغامرة بالنسبة له أكثر من بحث عن الخلود.
لقد أقنع نفسه بأنها فرصة كي يعيش حياة جديدة. حياه ترحال ومغامرات

بدل الروتين الممل الذي كان يطبع حياته السابقة، لم يصدق فعلا قصة إريس.
أو أنه صدقها وينكر حتى لا يرفع سقف أمانيه فيكون الفشل صامدا؟.
لكنه اليوم على أعتاب الخلود.
– إريس.. هل..؟؟
أشار له إريس بيده ليصمت وبدأ في العبث ببعض الأحجار بجدار الكهف كطفل يلعب لعبة البازل الشهيرة.
فجأة تحركت صخرة لتكشف عن مدخل غرفة ولجها إريس دون أن يكلم مانزو الذي لم يكن في حاجة لدعوة فتبعه دون تفكير..
بمجرد دخول مانزو للغرفة أضاءت بلون أحمر جعله ينتفض برعب في الوقت الذي ركع فيه إريس على ركبتيه.
على صوت من لا مكان وكأنه آت من كل ركن من الغرفة:
– هل أنجزت مهمتك يا إريس؟
– أجل يا مولاتي
– تقدم يا ابن القمر الأحمر
نظر إريس لمانزو وأشار إليه إشارة فهمها مانزو فورا فتقدم إلى جانب إريس الذي تراجع للخلف دون أن يرفع رأسه.
– تعرف مهمتك التالية يا إريس.. هيا اذهب
كان مانزو يريد الانسحاب لكن قوة أكبر منه جعلته يركع إراديا على ركبتيه.
– تحاول أن تفهم أليس كذلك؟
لا عليك،لقد وعدك إريس بالخلود وعد إريس هو وعدي وسأفي به..

لكنه لن يكون كما تتمنى، أنا مدينة لك بشرح أنا أنغرا ماينيو يكفيك إسمي الآن، منذ آلاف السنين فقدت جسدي أثناء صراعي مع أحد الكيانات، كان قويا بشكل فاجئني، لكني تمكنت من الحفاظ على روحي، مرت على سنين وأنا أحاول التواصل مع العالم المادي ثم استطعت الدخول لأحلام البشر، هكذا كنت أجند خدامي، إريس هو أحدهم، لا أتخذ أكثر من خادم في نفس الوقت، ثم استعملت عدة أجساد من عدة أصناف كوعاء لروحي، لكن لم يتمكن أي جسد من احتواء قوتي، هناك من احترق ومن ذبل ومن انفجر إلى أن اكتشفت طريقة تمكنني من احتواء طاقتي داخل أجساد بشرية.

دماء أبناء قمر الدم

(ليلتها حمله أبوه عاريا لم يبلغ دقائق من عمره ورفعه أمام القمر الأحمر وكأنه يقدمه له قربانا.)

ارتعدت فرائص مانزو وهو يتخيل نفسه قربان لطقوس إعداد جسد لأنغرا ماينيو

قرأت الروح أفكاره فأردفت قائلة:

– إن كان لك عزاء فأنت لن تموت، أنت آخر لبنة في البناء، مئات السنين وطقوس إعادتي للحياة المادية قائمة، مئات من أبناء قمر الدم ذبحوا في معبدي وجمعت دماؤهم وجففت انتظارا للحظة التي نعيشها الآن، لكن يؤسفني أن أخبرك أنك لن تفرق كثيرا عن شخص ميت، ستكون مجرد وعاء لي سأتحكم في كل تصرفاتك، ستكون أنا، جسدك سيتحملني مائة سنه على الأقل ولن يكون صعبا علي في جسدي الجديد أن أعثر على وعاء آخر لأنتقل إليه، أما أنت فصورتك واسمك سيكتبان

على جدران هذه الغرفة.. هذا هو خلودك الذي حلمت به أحققه لك، والآن لتبدأ الطقوس..

في الخارج كان إريس يقوم بمهمته الأخيرة يرسم على الثلوج دوائر متداخلة ويكتب حولها حروفا من لغة غير معروفة عندما سمع صرخة مانزو كأنها آتية من قلب الجحيم..

لقد عادت أنغرا ماينيو

# الفصل الثاني

قبل ثلاث سنوات من الإعدام.

صوت طرقات على الباب: ادخل.

يدخل شاب في العشرينات من عمره ودون ان يتكلم ينحني في خضوع أشبه بالركوع أمام عجوز لا بد وأنه تجاوز الثمانين سنة بسنين.

– هل من جديد يا إريس؟

– كل شيء تحت سيطرتي

– إريس إريس . لا تخذل ثقتي بك. أنت تذكري بجدك الأكبر إريس لقد أطلقت عليك اسمك هذا تيمنا به كان تابعا مخلصا

– لن أخذلك يا مولاتي

– تعجبني قدرتك على التحكم في كلامك لم يسبق أن ناديتني مولاتي أمام أحد كما لم يسبق أن ناديتني مولاي في خلوتنا والآن أخبرني كيف تسير الخطة فهذا الجسد لن يستحمل أكثر من بضعة أشهر

– مولاتي لقد أصبحت أحد الندماء الدائمين في بلاط الإمبراطور، المهارات التي وهبتني إياها قربتني منه كثيرا، خصوصا بعد فوزي بجميع مباريات المبارزة التي أقيمت هذه السنة، يقول بأنني أفضل مبارز شاهده ولا يتفوق علي إلا ماركوس

– ماركوس.. قائد الجند... راقبه جيدا يا إريس لا أريده أن يتدخل في عملنا.

– ولكن يا مولاتي هذه أول مرة تختارين فيها جسد فتاة.. لماذا؟ أخبرتني انك دائما ما اخترت أقوى الأجساد فماذا اختلف هذه المرة؟

– أنت كثير الأسئلة يا إريس، لا عليك، سأجيبك.. كل أبناء قمر الدم من هذا الجيل إما هلكوا أو أجسادهم موبوءة وجسدي الحالي إلى دمار ولن يمهلني إلى أن يولد ويكبر أبناء قمر الدم القادم، الوحيدة التي جسدها سليم هي ابنة الإمبراطور.

– كاثرين

– تماما ثم أن هذا الأمر لن يشكل مشكلة كبيرة فكل ما أنا بحاجته هي بضع سنوات إضافية أصل بها للظهور القادم لقمر الدم وحينها سيكون شأن آخر.

– يقولون أنها جميلة، أنا لم أرها بعد رغم ترددي الدائم على قصر الإمبراطور حتى أصبحت شبه مقيم فيه، إلا أنه لم تتح لي الفرصة بعد للقائها

يصمت إريس قليلا ثم يكمل

– هناك أمر لا بد أن تعرفيه قبل أن أعود للقصر

– تكلم بدون مقدمات

– الإمبراطور يريد تزويج كاترين

– جميل جدا فكما أخبرتني الإمبراطور يحبك وقد قربك لمجلسه حتى أصبحت دائم التواجد به.. لماذا لا تفاتحه إذن برغبتك في الزواج منها؟

صمت إريس قليلا قبل أن يجيب دون أن ينظر لأنغرا ماينيو

– لأنه فاتح ماركوس بالأمر.. يريده زوجا لابنته

داخل جناح النساء كانت الأميرة كاثرين مستلقية تراقب وصيفاتها وهن يلعبن ويتراقصن طمعا في تسليتها بينما وصيفتها المقربة صوفيا تجلس عند قدميها...

ودون أية مقدمات سألتها صوفيا

– هل تحبينه؟

نظرت لها كاثرين بعين ناعسة

– من تقصدين؟

أجابتها بغنج:

– أنت تعلمين يا مولاتي

– أنا لا أكرهه أما إن كنت تقصدين بسؤالك هل أريد الزواج منه فأجل أرغب بذلك

– ومن في المملكة لا ترغب بالزواج من قائد الجند؟ إضافة إلى أنه شاب ووسيم ودائم الاهتمام بأناقته

– هذه أمور تتطلبها وظيفته

– وهل تتطلب وظيفة قائد الجند الجمال والوسامة؟

ضحكت كاثرين طويلا قبل أن تجيب:

– أتحدث عن الأناقة أيتها الخبيثة

نهضت كاثرين وتوجهت للشرفة المطلة على الحديقة، فتبعتها وصيفتها صامتة فقد تعلمت أن تصمت عندما تقف كاثرين في هذه الشرفة لتراقب الأفق.

– الحب سيأتي بعد الزواج

قالت كاترين وهي تسترسل:

دائما ما كان الأمر هكذا

أحست صوفيا بمسحة من الحزن في كلام أميرتها..

و من يعرف الأميرة أكثر من وصيفتها المقربة لقد انضمت لحاشية الأميرة

منذ أن كانا في العاشرة من عمرهما.
لعبا سويا وكبرا سويا كانت العلاقة بينها تكاد تكون كعلاقة الأخوة لولا بروتوكولات الإمبراطورية.
صوفيا تعلم أن أميرتها بحثت عن الحب كثيرا ولم تعثر عليه بعد.
هل فعلا سيكون الزواج هو مفتاح السعادة وباب الحب المنتظر، ماركوس شاب وسيم ذو أخلاق عالية ومكانة اجتماعية مرموقة لا يختلف اثنان في كونه زوج مثالي.
لكن هل سيكون هذا كافيا ليشع نور الحب في قلب أميرتها.
– صوفيا
انتزعتها صرخة كاثرين من أفكارها
قلت لك أخرجي الوصيفات
– عفوا يا مولاتي لقد سرحت بأفكاري قليلا
– يبدو انك أنت من تحبين يا صوفيا، هيا أخبريني من سعيد الحظ هذا الذي ملك قلب اقرب وصيفاتي إلي
تضحك صوفيا بخجل قبل أن تجيب:
– إن كان هناك شخص ستكونين أول من يعلم

دخل حاجب القصر قاعة العرش يمشي منتصبا إلى أن واجه الإمبراطور فانحنى قائلا
مولاي الإمبراطور، إريس على الباب يستأذنك للدخول
– دعه يدخل
ثواني مرت دخل بعدها أريس مبتسما

– مولاي.. خادمكم المطيع بتشرف بالوقوف بين يديك
– اجلس يا إريس ودعك من الكلام المعسول، ما سبب غيابك عنا كل هذه المدة؟
– لقد كنت خارج المدينة يا مولاي لتصريف بعض أمور تجارتي
– لو تأخرت أكثر يا إريس كنت بعثت من يحضرك إلي مكبلا
قالها الإمبراطور ضاحكا.
ضحك إريس وقال:
– منذ أن أصبحت من ندمائك يا مولاي بت مكبلا بحبك فلا أطيق فراقك طويلا
قهقه الإمبراطور قائلا:
– عدنا للكلام المعسول
– بل هي الحقيقة يا مولاي.. لكن يا مولاي ما كل هذه الزينة التي تملأ القصر؟ يبدو أنكم تستعدون للاحتفال بمناسبة ما
– هو ذاك يا أريس. وقد جئت في أنسب وقت للاحتفال معنا
– هذا من دواع سروري يا مولاي
– اليوم خطبة كاثرين على ماركوس، أريد أن أطمئن على أميرتي قبل أن أفارق هذه الدنيا يا إريس
– أطال الرب عمر مولاي
دخل الحاجب في هذه اللحظة بطريقته المعتادة قائلا
– السيد ماركوس قائد الجند يطلب الإذن بالدخول
– ليدخل
دخل ماركوس بلباسه العسكري يمسك خوذته بيده إلى أن تواجه مع

كرسي العرش فقدم التحية العسكرية للإمبراطور الذي قال له مازحا:
– إنس اليوم أنك جندي يا ماركوس، اليوم يومك، وقريبا ستصبح زوج ابنتي
– هذا شرف لا أرى نفسي أستحقه يا مولاي
– بل أنت كذلك يا ماركوس، لن أجد في الإمبراطورية من آمنه على ابنتي وملكي أكثر منك، أنت تعلم أن كاثرين هي وريثتي الوحيدة، والأطماع تحيط بها من كل جانب في حياتي فما بال الحال حين أفارقكم إلى ملكوت الرب
– أطال الرب عمر مولاي حتى ترى أحفادك وتختار منهم وريث ملكك
تكلم إريس لأول مرة منذ أن دخل ماركوس قائلا:
– أحفاد مولاي سيكونون نعم القادة، كيف لا وهم أبناء ماركوس الشجاع
استدار ماركوس ناحية أريس قائلا:
– إريس المبارز الماهر
تقدم إليه يصافحه وهو يكمل:
اعذرني لم أنتبه لوجودك
– أعذرك يا ماركوس، فلا أحد يكون له وجود في حضور مولاي
يضحك الإمبراطور قائلا:
– ألم أخبرك يا ماركوس أن إريس لا يغلبه أحد في فن الكلام؟
الأميرة كاثرين قالها الحاجب.
دخلت كاترين تلبس ثوبا أبيضا أنيقا زادها جمالا وتتبعها وصيفتها المقربة صوفيا، طبعا كاثرين الوحيدة التي تستطيع دخول قاعة العرش دون استئذان.

قام الإمبراطور من كرسيه وتقدم لاستقبال ابنته مبتسما لها في حب، قبلها في جبينها قائلا:

– لا أصدق أن صغيرتي كبرت وأصبحت امرأة على وشك الزواج.

ابتسمت كاثرين في خجل واستدارت ناحية ماركوس

– مرحبا ماركوس

– مرحبا مولاتي

تقدم الإمبراطور ممسكا يد ابنته ناحية إريس وقال:

– كاثرين أقدم إليك إريس.

رفع إريس عينيه لتلتقيان بعيني كاثرين، فتوقف الزمن بهما، تاه كل منها في بحر الآخر، صمت رهيب لم يقطعه إلى صوت الإمبراطور يقول:

– أنتما لم تلتقيان من قبل

انتقض إريس ليعود إلى رشده قائلا:

– شرف لي لقاء مولاتي في أسعد أيامها

فعلا هذا أسعد أيامي

أجابته كاثرين مع ارتجاف بسيط من جانب ثغرها ارتجاف التقطته صوفيا التي علمت أن هناك مشاعر طالما حلمت بها أميرتها بدأت تتكون، لكن صوفيا لم تكن الوحيدة التي أحست بما حدث، فهذا الأمر لم يكن ليمر مرور الكرام على شخص محنك مثل ماركوس الذي ضغط على مقبض سيفه بقوة وهو ينظر إلى إريس الذي تحول في لحظة إلى غريم محتمل يهدد حبه.

نعم فرغم انه لم يعترف لأحد من قبل إلا أنه أحب كاترين منذ أن رآها أول مرة، وعندما اختاره الإمبراطور زوجا لها كان في أسعد أيام حياته، لكنه

يشاهد حلمه يتحول إلى كابوس.

قال في نفسه:

لن أسمح بهذا

التفت الجميع إليه بدهشة في حين قال الإمبراطور:

– ما هذا الذي تقوله يا ماركوس؟ لن تسمح أن يكون هذا اليوم أسعد أيام ابنتي؟

انتبه ماركوس إلى أن فرط انفعاله جعل الجملة تخرج من فمه مسموعة، لكن ماركوس لم يصل إلى مرتبة قائد الجند عبثا فقد كان سريع البديهة فأجاب:

– أجل يا مولاي لن أسمح أن يكون هذا اليوم أسعد أيام أميرتي بل سأعمل على أن يكون كل يوم تعيشه مولاتي أسعد من اليوم الذي قبله

ابتسم الإمبراطور قائلا:

كنت أعرف أني أحسنت الاختيار يا ماركوس

أجاب ماركوس وهو ينظر مباشرة في عيني إريس:

– لن أخذلك أبدا يا مولاي، سأحافظ عليها حتى لو اضطررت إلى شن الحروب من أجل ذلك.

في مخدعها جلست كاثرين تداعب بأناملها أوراق وردة حمراء حين دخلت عليها وصيفتها.

– يبدو أنك سعيدة اليوم يا مولاتي

– كيف لا أكون سعيدة واليوم يوم خطبتي

– أنت تحبينه فعلا

أجابت كارين في تذمر

– صوفيا.. أخبرت أني لا أكرهه ولا أحبه.. سأحبه بعد الزواج هذا أكيد

– لا أتحدث عن ماركوس

تيقظت كل جوارح كاثرين لتهب جالسة قائلة في همس:

– ما الذي تتحدثين عنه

قالت صوفيا بابتسامة:

– أنت تعلمين

– صوفيا وضحي كلامك أو غادري فأنا نعسانة وأريد النوم

– إريس

دون أن تشعر وضعت كاثرين يدها على فم صوفيا وهي تلتفت رغم أنها في مخدعها ولا أحد سواها وصوفيا يتجرأ على دخوله.

إذن فأنا على حق

قالت صوفيا

– أي حق يا غبية، إنك تتوهمين

– لقد كانت النظرات بينكما فاضحة، أعتقد أنه احبك هو أيضا

قالت كاثرين في لهفة

– هل تعتقدين ذلك

ضحكت صوفيا بغنج وهي تقول:

– ألم أقل أنك تحبينه؟

خفضت كاترين صوتها كمتهم حاصرته أسئلة المحققين فلم يجد بدا من الاعتراف

– لا أنكر أني أحسست بشيء ما ناحيته لكن لا يمكن أن تقولي أني أحبه

فأنا حتى لا أعرفه.
– الحب لا يهتم لهذه التفاصيل، يدخل القلب دون مقدمات ودون أسباب، فقط تجد نفسك تحب
– لا يهم المهم أني سعيدة كما لم أكن يوما.
– وأنا سعيدة لسعادتك
و أردفت في همس لم تسمعه كاثرين المنتشية بمشاعرها الجديدة:
أرجو أن لا تتحول سعادتك إلى شقاء، فأنت لا تستحقين ذلك

انتهى كبير الطباخين من تفقد وجبة الفطور الملكية ثم توجه إلى مكتب كبير الخدم، اجتاز الباب المفتوح قائلا:
– الفطور جاهز، ألم يستيقظ مولانا الإمبراطور بعد؟
أجابه كبير الخدم دون أن ينظر إليه:
– يبدو أنك لن تتعلم أصول العيش داخل القصور، على الأقل ألقي التحية
رد كبير الطباخين بتأفف:
– وأنت لن تتوقف أبدا عن النقد ولأتفه الأسباب، المهم، الفطور سيبرد وأنت لم تطلبه بعد
– لقد حزرت بنفسك، مولانا لم يستيقظ بعد، البارحة كانت خطبة الأميرة كاثرين ويبدو أنه أثقل في الشرب قليلا
– كلا.. نحن في خدمة الإمبراطور منذ أكثر من عشرين سنة، ذكرني بيوم تأخر فيه في النوم إلى هذا الحد
طرد كبير الخدم الهواجس التي لم تفارقه منذ أن تجاوز الإمبراطور موعد

استيقاظه المعتاد وقال
– ماذا تقترح؟ أن ادخل لأوقظه بنفسي؟
– إن لم تفعلها أنت سأفعلها أنا
– حسنا حسنا، أرجو أن لا أندم على هذا

دخل كبير الخدم غرف نوم الإمبراطور وناداه هامسا
– مولاي
كررها أكثر من ثلاث مرات مع فارق زمني بينهم دون أن يتلقى أي أجابة، تشجع واقترب من سرير الإمبراطور أكثر، مجرد الاقتراب إلى هذا الحد قد يؤدي به لفأس الإعدام بتهمة محاولة اغتيال الإمبراطور، لكن الأفكار التي تتراقص في ذهنه لتكون سيناريوهات عديدة كل منها أبشع من الأخرى لم تترك له من حل إلا التمادي.
رفع الغطاء ببطء وهو ينادي مولاه بهمس.

مات الإمبراطور
تناقل الكل هذا الخبر في الوقت الذي تحول القصر إلى خلية نحل تموج بالحركة، كان أول الواصلين هو ماركوس، وزع رجاله داخل وخارج القصر لتأمينه ثم توجه ناحية طبيب الإمبراطور.
– ما الأمر أيها الطبيب؟ هل هناك شبهة ما؟
– لا أظن ذلك، الإمبراطور مات ميتة طبيعية هادئة كما تمنى دائما
وصل في هذه الأثناء إريس وبمجرد ما رآه ماركوس صاح به:
– ما الذي تفعله هنا؟ ومن سمح لك بالدخول؟ حسابه سيكون معي

عسيرا.
– أنا من أقرب حاشية الإمبراطور إليه لدي كل الحق بالتواجد هنا ولا حق لك في منعي من الحضور
كادت الأمور تتحول لمبارزة بينهما لولا أن أوقفتهما صرخة كاثرين أبي.
دخلت كاثرين تتعثر في ملابسها وهي تبكي بحرقة وبجانبها صوفيا تحاول الإمساك بها ودموعها الغزيرة تتساقط لرؤيتها لأميرتها في مثل هذه الحالة أكثر من حزنها على الإمبراطور الراحل.
ألقت كاثرين بنفسها فوق جثة أبيها تجهش بالبكاء، لم يجرؤ أحد على منعها.
ماركوس وإريس الذين أعلنا هدنة لم يتفقا عليها ينظران إليها بأسى، قلباهما يتقطعان أسفا على حالها لقد أحباها كل بطريقته، يعز عليهما أن يراها تتألم دون أن يتمكنا من مساعدتها.
فقط طبيب الإمبراطور بعد أن أحس أنها أفرغت بعضا من شحنة الحزن في قلبها أمسك كتفيها برفق ورفعها قائلا:
– أنت اليوم إمبراطورتنا، نريدك قوية، كل الشعب يريدك قوية
مسحت دموعها دون أن تتمكن من التوقف عن البكاء، التفتت لترى ماركوس الذي بادرها بالقول:
– تعازي الحارة أيتها الأميرة، أقصد أيتها الإمبراطورة
– شكرا ماركوس
– يبدو أنه كان يحس بدنو أجله لهذا كان حريصا على إعلان خطبتنا
ثم أكمل وهو ينظر لأريس:

زواجنا هو الرغبة الأخيرة للإمبراطور، سنحقق رغبته الأخيرة قريبا
قال ذلك ليقطع كل أمل لإريس الذي فهم الرسالة، صوفيا أيضا فهمتها وتحقق ما كانت تخشاه فماركوس أحس بما تكنه كاثرين لإريس.
ليخرج الجميع
قالتها كاثرين، هم الجميع بالخروج قبل أن تستدرك:
صوفيا ابقي أنت والطبيب
وقفت كاثرين بقامة منتصبة وكأنها لم تكن منذ لحظات منهارة وقالت موجهة كلامها للطبيب:
– هل مات أبي طبيعيا
– نعم يا مولاتي لقد فحصت جثته جيدا لا شيء يدعو للريبة
– إذن لتبدأ مراسيم الجنازة، وليعلن الحداد في كل أرجاء الإمبراطورية
– السمع والطاعة يا مولاتي
بعد أن خرج الطبيب لتنفيذ الأوامر قالت كاثرين لصوفيا
– أريد إريس فورا يا صوفيا ليدخل وحده وانتظري بالباب
خرجت صوفيا دقائق قبل أن تعود
– لم أجده يا مولاتي، عندما سألت أخبروني أنه بمجرد خروجه من الغرفة توجه نحو باب القصر يبدو أنه غادر
– إلى أين ذهبت يا إريس في هذا الوقت الحرج
– ألم تلاحظين أن ماركوس كان يوجه نظره مباشرة إلى إريس حين كان يتحدث عن رغبة الإمبراطور الأخيرة بزواجكما
– هل فعل؟
– أجل، يبدو أنه أحس بمشاعرك لإريس

– أخبرتك أن لا شيء مما في ذهنك صحيح، ثم ما دخله هو؟
– كيف ما دخله؟ أولا هو خطيبك وطبيعي أن يغار عليك، كما أنه يحبك هذا واضح
– غريب أن نتحدث في هذه أمور وأبي لم يدفن بعد
– مولاتي، الحياة تنبعث من الموت، لقد أصبحت مسؤوليتك كبيرة، فلا تظهري ضعفا
– اذهبي الآن وأخبريني بمجرد عودة إريس
خرجت صوفيا تاركة كاثرين وحدها أمام جثة أبيها تنظر إليه طويلا قبل أن تهمهم
أين أنت يا إريس؟

# الفصل الثالث

– ادخل

يدخل إريس راكعا أمام العجوز قائلا بلهفة:

– مولاتي لقد مات الإمبراطور

– كنت أتوقع ذلك، فقد فشلت في الدخول لأحلامه الليلة، كنت أحاول أن أثنيه عن خطبة ابنته لماركوس حتى ترتفع حظوظك للظفر بها، لكن الموت سبقني

– هل تقترحين علي شيئا يا مولاتي

– مع موت الإمبراطور وزواج ماركوس بكاثرين ستزداد صعوبة إحضارها إلى هنا، أنت تعلم جيدا أن طقوس إحلالي في جسمها يجب أن تمارس في الكهف، ماركوس إذا تزوج كاثرين فسيعلن نفسه إمبراطورا، وستصبح كاثرين سجينة القصر ولن تخرج منه إلا بصحبته، لن تستطيع إحضارها في هذه الحالة، إذن مهمتك الآن ستكون إفشال زواجهما وهذا أمر سهل.

– سهل؟ كيف يا مولاتي؟

– كاثرين تحبك

أطلت نظرة من السعادة من أعين إريس قائلا

– كاثرين؟ تحبني؟ أنا؟

– أجل، لقد زرتها في المنام في صفة وصيفتها وتحدثت معها، حبها لك سيسهل مهمتك، لكن هناك أمر آخر ليس في صالحنا

سألها باهتمام:

– وما هو يا مولاتي؟

– أنت أيضا تحبها يا إريس، الحب إحساس جميل لن ألومك عليه، لكن إن أثر في أداءك لمهمتك فسيكون عقابي قاسيا، تذكر، أنا رحيمة لكني لا أرحم.

ودون أي كلمة أخري أشار العجوز له بيده فخرج إريس وهو يفكر:

وما الذي سيتغير أنغرا ماينيو ستحل في جسد كاثرين وستعيش ككاثرين لبقية عمري سأحبها دائما وأبدا، ستكون دوما لي فأنا تابعها وخادمها وأمين سرها، لن تبخل علي بجسد كاثرين.

وهكذا أقنع إريس نفسه بأن حبه لكاثرين لن يؤثر في نجاح مهمته.

وانطلق عائدا للمدينة، وأمامه هدف واحد، ما دامت تحبه فإن اعترافه لها بحبه سيزيد من مشاعرها نحوه، ستترك ماركوس وتتزوجه، الأمر لم يعد صعبا.

في جناحه الخاص كان ماركوس كأسد عاش كل حياته في البراري ووجد نفسه فجأة داخل قفص، لا يجلس إلا ليقف ولا يقف إلا ليمشي، كان يعلم أن الوقت ليس في صالحه، موت الإمبراطور أفسد كل شيء، إحساسه الذي لم يخذله يوما يقول له أن إريس فاز بقلب خطيبته وما هي إلا أيام حتى تفسخ خطوبتهما، لن يترك الأمر يحدث.

استأذنه أحد الجنود في الدخول فأذن له.

– مولاي القائد، أردت أن نعلمك بأي خبر يخص السيد إريس

– تكلم

– وصيفة الأميرة كاثرين...

قاطعه ماركوس:

تقصد الإمبراطورة كاثرين، أكمل
تنحنح الجندي مكملا:
وصيفة الإمبراطورة كاثرين تركت أوامر لحرس القصر بإبلاغ الأمي...
الإمبراطورة فور عودة إريس.
مرر ماركوس أصابعه على لحيته وهو يفكر
إذن فإحساسي صحيح، إريس لن يحرمني من كاثرين فحسب بل من الملك، بيني وبين لقب الإمبراطور التخلص منك يا إريس
يلتفت ماركوس للجندي ويسأله:
وأين هو إريس الآن؟
– لقد غادر المدينة في الصباح وآخر المعلومات تقول أنه توجه شرقا
– إذن اسمعني جيدا ونفذ ما أقول حرفيا وأي تقصير سأعاقب المقصر بنفسي ولن تكون أنت شخصيا بمنء عن غضبي
– كلي أذان صاغية يا مولاي

وصل إريس مدخل المدينة عند الزوال، الكل يتجهز لمرافقة الإمبراطور الراحل لمثواه الأخير.
سيد إريس
التفت إريس خلفه ليجد أحد حراس القصر
الأميرة طلبت إخبارها فورا بعودتك كما أمرت بأن تتوجه إليها مباشرة
ابتسم إريس وهو يشعر أن الأمور تمضي من حسن لأحسن:
حسنا سأذهب إليها بعد قليل
– عفوا سيدي عليك مرافقتي الآن، ليس من اللائق ترك الإمبراطورة

القادمة تنتظر.

– ليكن، هيا بنا

توجه الحارس وإريس يتبعه إلى جناح الإمبراطورة كاثرين قبل أن يتخذ ممرا جانبيا مما دفع بإريس لسؤاله

– أين نحن ذاهبان؟ هذا الممر لا يوصل لجناح الأميرة ولا لغرفة نوم الإمبراطور

– لقد نقلوا جثة الإمبراطور من أجل تطييبها، وقد أصرت الأميرة على تطييب جثة والدها بنفسها

ها قد وصلنا

قالها الحارس وهو يطرق باب إحدى الغرف، فتح الغرفة حارس آخر نظر إليهما ثم أفسح المجال لإريس للدخول، لم يكد إريس يطأ داخل الغرفة حتى هوى الحارس الأول على رأسه بمقبض سيفه، هاجم الظلام عقل إريس رغم محاولته مقاومة الدوار الذي يحس به إلا أنه استسلم له ولم يستيقظ إلا ليجد نفسه مكبلا في غرفة لا تحتاج لعبقرية حتى يدرك أنها زنزانة.

لقد فعلها ماركوس.

هكذا فكر إريس.

أين أنت يا إريس؟

جال السؤال في خاطر كاثرين وهي مستلقية في مخدعها فقد مرت ثلاث أيام على موت أبيها ورحيل إريس وهذا الأخير لم يعد بعد.

سيعود قريبا، لن يتأخر أكثر قالت صوفيا التي يبدو أنها كانت تقرأ أفكار

أميرتها والتي توجت منذ يومين رسميا إمبراطورة مكان والدها.
ماركوس يقول أن إريس شعر بأنه فقد الحظوة التي كانت لديه أيام والدي فقرر الرحيل لمكان آخر.
– ماركوس يغار عليك منه، كلامه غير ذي مصداقية
– أخشى أن يصيبه مكروه
ابتسمت صوفيا وهمست في أذن كاثرين
أما زلت تنكرين حبك له
نظرت لها كاثرين بعينين حزينتين وقالت
ليعد سالما فقط وسأعلن حبي له في كافة أرجاء الإمبراطورية
عانقتها صوفيا وهي تقول
هل أفرح لك لأنك وجدت الحب أخيرا أم أحزن لأن هذا الحب سيسبب لك جروحا أنت لا تستحقينها
– أية جروح يا صوفيا؟
– ماركوس لن يفرط فيك بسهولة
– ماركوس يحبني وسيسعد لسعادتي حتى لو كانت مع غيره
– العاشق خاسر سيء، خصوصا إن كان في قوة ومكانة ماركوس، سيهدم المعبد على الكل
– ماركوس لا يملك قلبي ولا يستطيع إجباري على شيء، هل نسيت أنني الإمبراطورة؟
نظرت صوفيا في عيني كاثرين طويلا قبل أن تجيب
لا عليك، أرجو أن تكون شكوكي مجرد وساوس
– هي كذلك يا صوفيا، هي كذلك

أحست من نبرة صوتها أنها لم تكن مقنعة حتى صوفيا شعرت بذلك.
هي تعلم أن ماركوس يحبها ولن يتنازل عنها بسهولة، وهي تحب إريس، صحيح لم تقابله إلا مرتين لكنه ملك كل كيانها، لم تشعر بالحب إلا حين نظرت إلى عينيه، لكنه غائب من ثلاث أيام، إن لم يعد فستتزوج ماركوس صحيح أن شخصيتها رومانسية لكنها أيضا واقعية كما أن منصبها الجديد كحاكمة لإمبراطورية مترامية الأطراف يجعلها تقدم الصالح العام على حياتها الخاصة، وحدها عودة إريس ستحل هذه المعضلة لكن أين هو إريس، هل هاجر فعلا كما أخبرها ماركوس؟
أين أنت يا إريس؟

أين أنت يا إريس؟
التفت إريس بعنف ليجد كاثرين تنظر إليه بابتسامتها الجميلة
بلهفة المشتاق صرخ إريس
مولاتي الأميرة
– لقد أصبحت إمبراطورة
ابتسم إريس لها وقال
كيف حال مولاتي، أرجو أن تكوني بخير
– أخبرني يا أريس، أين أنت
– أنا بجانبك يا مولاتي أجاب إريس في دهشة
– أريس، نحن لسن هنا وأنا لست كاثرين، ألم تفهم بعد؟
تذكر إريس أنه مسجون فاستوعب الأمر سريعا
– مولاتي أنغرا ماينيو أنا مسجون في زنزانة لا أعلم مكانها، أفقدوني وعيي

وحينما استيقظت وجدتني فيها، لقد سبقني ماركوس بخطوة لم أتوقعها.
– عندما تأخرت عن موعد عودتك خشيت أن يكون أصابك مكروه، لا تقلق سأجد مكانك وأخرجك بأسرع وقت
– لن أقلق ما دمت أخدمك يا مولاتي، أعلم أنك ستأتين لإخراجي
– كن مستعدا
استيقظ إريس ليجد نفسه مكبلا في زنزانته لكنه هذه المرة كان مرتاحا مبتسما، سيخرج خلال يوم على الأكثر.

ماركوس
ماركوس
انتبه ماركوس من غفلته ليجد كاترين بوجهها المشرق تنظر له في حب.
– عفوا مولاتي لم أنتبه لحضورك، تفضلي وشرفيني بالجلوس على مائدتي.
نظرة إليه بإغراء قائلة:
– أفضل الاستلقاء فوق سريرك يا قائد الجند
ومرت بجانبه بعد أن ألقت تلابيب فستانها على وجهه مما أفقده اتزانه.
– مولاتي تفعل ما يطيب لها ونحن طوع أمرها
مطت كاثرين شفتيها وهي تقول:
– إريس أيضا كان يقول لي هذا
أجابها ماركوس ونبرة الغضب بادية في كلامه
– لقد رحل فدعينا منه
ضحكت كاثرين بغنج وإغراء وهي تقول:
– رحل؟ لست وحدك من لديك أعين تأتيك بالأخبار يا ماركوس، هل

نسيت أنني إمبراطورة ولي أعيني؟ أعلم أن رجالك قبضوا عليه وهو سجين لديك، لكن ذلك لا يهمني، فلتتقاتلا إن شئتما وليظفر بي الأجدر

– الغبي ليس ندا لي، سأسحقه كحشرة

تزيد من إبراز مفاتنها قائلة:

– وهل في الإمبراطورية كلها من هو ند لماركوس؟

يقول ماركوس وهو يقرب انفه من كتفها ليشتم عبقه

– هل تقصدين أنك لم تفكري فيه أبدا؟

– أجننت يا ماركوس.

قالت كاثرين قبل أن تردف في دلال أنهى آخر ما كان يحتفظ به ماركوس من وقار:

– كل ما في الأمر أنني شاهدت نظرات الغيرة في عينيك فأثارني الأمر فقررت أن ألهو قليلا

ثم اقتربت أكثر حتى كاد صدرها يلامس صدره وهمست

– أتستكثر علي قليلا من اللهو؟

ثم وقفت منتصبة فجأة وهي تقول:

– أتعلم يا ماركوس، لو كان إريس أمامي الآن لأخبرته أنه مجرد دمية أمام رجولتك، كم أتمنى أن أري نظرة الانكسار في عينيه

يهب ماركوس قائلا في حماس:

– أستطيع تحقيق أمنيتك يا مولاتي، فلا أحب إلي من أن أراه دليلا منكسرا

ثم تابع:

هيا بنا سآخذك إليه الآن .

– تأخذني إلى أين؟

– إلى مخزن الحبوب، لقد اتخذت قبوه سجنا شديد الحراسة لحبس الخونة والمتآمرين، أسميته المأوى، وقد عهدت بإدارته لمورس إنه أكثر القادة صرامة وهذا السجن يناسب شخصيته

رددت كاثرين:

– مخزن الحبوب.. موريس.. مخزن الحبوب... موريس

ثم توجهت خارجة من الغرفة أراد ماركوس أن يتبعها لكنه تفاجأ بعدم قدرته على تحريك رجليه، كان يحس بهما وكأنهما غارقتين في الأرض أو مثبتتين عليها، حاول وحاول وحاول دون نتيجة أحس بمرارة العجز، فلم يتمالك نفسه وصرخ باسمها

كاثرين..

انتفض بقوة ليجد نفسه في سريره، يبدو أنه كان يحلم حلما تحول لكابوس، لم يهتم بالأمر كثيرا، فهو يعلم أن موضوع زواجه بكاثرين يشغل كل تفكيره، ولا غرابة أن يزوره في أحلامه، لذلك استلقى مرة أخرى في فراشه محاولا العودة للنوم..

أما من الجانب الآخر وفي مخبأ أنغرا ماينيو كان العجوز يغط في نوم عميق لم يمنعه من الابتسام، لقد عرفت أنغرا ماينيو مكان إريس وهي الآن تفكر في طريق لإخراجه، ستزور موريس في أحلامه لكنها لن تطلب منه إطلاق سراح أريس لأنه ببساطة بمجرد استيقاظه من النوم سيتعامل مع الأمر على أنه مجرد حلم وسينسى الأمر بسرعة، وهي تريد إريس حرا في الصباح، لكن أنغرا ماينيو التي عاشت ألاف السنين ومرت بملايين التجارب لن تعجزها حيلة.

استلقت كاثرين على أريكتها الملكية صامتة وقد جفاها النوم، احترمت صوفيا صمتها فجلست قربها تستعيد شريط أحداث الثلاث أيام الماضية، ثلاث أيام عاشت فيها أميرتها من التجارب ما لم تختبره في عشرين سنة هي عمرها الآن، خطبت وأحبت ثم مات والدها وتوجت إمبراطورة كل هذا في ثلاث أيام، صحيح أن والدها كان يهيئها للحكم منذ إصابته في إحدى رحلات الصيد التي كان يعشقها ويواظب عليها، تلك الإصابة التي حرمته من أن يفرح بأبناء آخرين غير بكرته كاثرين، لكنها تحس أن كاثرين ما تزال تعيش دور الأميرة ولم تستوعب بعد كونها حاكمة لإمبراطورية مترامية الأطراف، كاثرين عليها أن تنتبه لمسؤولياتها الجديد هكذا فكرت صوفيا لذلك قررت أن تقطع الصمت الذي خيم على مخدع الإمبراطورة الجديدة.

– مولاتي. لقد مر يومان على جلوسك على كرسي العرش، لكنك لم تقومي بواجباتك اتجاه شعبك بعد

أجابت كاثرين دون أن تفتح عينيها

– إيفان وزير أبي يقوم باللازم هناك أيضا ماركوس، هو لن يسمح بأي انفلات، أحتاج قليلا من الوقت للتكيف مع واقعي الجديد.

– هناك أيضا من يحتاج هذا الوقت لتحقيق مآرب قد لا تكون في صالحنا

ردت كاثرين بلا مبالاة:

– كل من في السلطة الآن هم من خيرة رجال أبي ولم يشك أبدا في خيانة أحدهم له

انتفضت صوفيا قائلة بحدة:

– لم يكن لهم بديل عن طاعته فسيفه دائما ما كان يسبق خطوات الخونة لكن الأمر مختلف الآن

زادت كاثرين من لا مبالاتها:

– أنت تبالغين يا صوفيا، هم أهل ثقة

– ألا تتذكرين الجملة التي كان يرددها والدك عليك دوما؟

– أية جملة؟ فحكم أبي كثيرة

قالتها كاثرين وهي تتمطى استعدادا لمغادرة جسدها للأريكة

ردت صوفيا:

– السلطة تفسد الصالح وتجذب إليها الطالح

نهضت كاثرين وتوجهت مباشرة إلى صوفيا، نظرت مبتسمة ثوان في عيني صوفيا مما أربك الأخيرة التي حاولت أن تتحاشى النظر مباشرة في عيني مولاتها قبل أن تقول كاثرين

– هل تظنين أنني لا أعلم ما الذي تحاولين القيام به

وما الذي أحاول القيام به يا مولاتي؟ كل ما أريده أن تكوني حاكمة قوية كوالدك

لهذا تريدينني أن أتوقف عن التفكير بإريس

لم تجد صوفيا شيئا ترد به عن مولاتها، فكاثرين لم تخطئ في استنتاجها، صوفيا فعلا تخشى على أميرتها من حبها لإريس، وقد يكون اختفاءه من حياة مولاتها بمثابة الصدمة التي تعيد للمجنون رشده، وهل هناك أجن من عاشق؟ هي أيضا تعلم أن ماركوس لن يقبل الخسارة في هذه المعركة، ولا تريد لكاثرين أن تجد نفسها في موفق اختيار بين القلب والعقل، ثم إن ماركوس شخص مثالي حتى بالنسبة لإمبراطورة، ولو كان للقلب منطق لما ترددت كاثرين في الهيام به عشقا، لكن القلب يسير بقوانين لا تمت لواقعنا بصلة، هكذا كانت تفكر صوفيا عندما قطعت كاثرين تفكيرها قائلة:

– لا أنكر أن في كلامك بعض الحقيقة يا صوفيا، لكني لا أظن اختفاء إريس أمر طبيعي، هذا الأمر لا يمسني كإنسانة، بل كإمبراطورة.

– ما الذي تقصدينه يا مولاتي؟

توجهت كاثرين للشرفة ووقفت تتأمل الأفق قبل أن تقول:

– أشك أن لماركوس يد في اختفاء إريس، لقد أخبرتني بنفسك أن نظرات ماركوس له ليست بريئة

– هذا صحيح يا مولاتي، لكن ما علاقة الأمر بالحكم

– هذا يعني أن ماركوس تصرف في أمر يخصني دون الرجوع إلي، يبدو أنه بدأ التصرف كحاكم فعلي

– وماذا ستفعلين؟

– لا شيء يا صوفيا.. لا شيء.

ثم استدارت لتواجه وصيفتها مكملة:

أولا الأمر مجرد شكوك لم تتأكد، ثانيا ماركوس يملك من السلطة والقوة ما يجعلني أتأنى في أي رد فعل اتجاهه.

– لكن يجب أن تمسكي بكل خيوط الحكم، لا تتركي الأمور حتى تستفحل فتخرج عن سيطرتك

دقائق من الصمت مرت قبل أن تتكلم كاثرين

– إيفان

– الوزير

– نعم، لقد كان الرجل الأول في السلطة، وأذكر أن أبي طالما أخبرني بمعارضة إيفان للترقية السريعة التي كان ماركوس يحظى بها حتى وصل إلى مرتبة قائد الجند

تساءلت صوفيا في اهتمام:

– وما الذي يستطيع إيفان فعله في مواجهو ماركوس؟

– هو؟؟ لا شيء، لكن بإمكاني استغلال خوفه من تراجع مكانته في مواجهة ماركوس

– ما الذي تخططين له يا مولاتي؟

أجابت كاثرين:

– ستفهمين الأمر في وقته

قبل أن تصرخ بالحارس الخاص بها:

– أنطوان.. أرسل أحدهم إلى الوزير إيفان، أريده في قاعة العرش في الصباح الباكر

ثم وجهت كلامها لصوفيا:

– أما زلت على صلة بريبيكا

– ريبيكا؟

تساءلت صوفيا ثم أكملت:

– لا لم أرها منذ أن أهداها والدك الراحل لماركوس

– جدي طريقة للاتصال بها، وأخبريها أن وقتها قد حان

–وقتها؟

تساءلت صوفيا قبل أن تردف في توجس:

– هل ستجعلينها جاسوسة لك يا مولاتي؟

أطرقت كاثرين رأسها قليلا كأنها تفكر في أمر جلل قبل أن تقول:

– صوفيا.. من اليوم لم تعودي وصيفتي فقط، ستكون لديك مهمة أخطر.. هل ستكونين كفئا لها؟

قالت صوفيا بحدة وكأن كاثرين قد جرحت كبريائها:

– وهل خذلتك يوما يا مولاتي؟

– أخذت كاثرين نفسا عميقا قبل أن تجيب:

– الأمر مختلف هذه المرة عن ألعاب المراهقة التي كنا نقوم بها

– أؤمريني بما شئت يا مولاتي، لن تندمي، أعدك بهذا

– لقد قلت قبل قليل أن سيف أبي كان دائما يسبق تحركات الخونة

– هذا صحيح

ابتسمت كاثرين قائلة:

– ألم تتساءلين كيف كان أبي يعلم بمخططاتهم قبل تنفيذها؟

أجابت صوفيا بثقة العالم بخبايا الأمور:

– يقال أنه كان يملك شبكة استخبارات قوية

رفعت كاثرين سبابتها أمام وجهها قائلة:

– تماما، أبي كان يملك عينا أو أكثر في كل دواليب السلطة

– وأنت تريدين تكوين شبكة كالتي كانت لأبيك

برقت عينا كاترين وهي تقول:

– بل سأقوم بتفعيل شبكة أبي

أطلت دهشة من عيني صوفيا وهي تقول:

– تفعلين شبكة والدك؟؟ كيف ونحن لا نعلم أفرادها؟

قالت كاثرين مبتسمة:

– أنت لا تعلمين، أما أنا فأعلمهم فردا فردا وريبيكا إحداهم

زادت الدهشة على ملامح صوفيا التي بدا لها وكأنها تقابل كاثرين لأول مرة

– كيف؟
– منذ أن قرر أبي تجهيزي للحكم مكانه كان يخبرني بكل قراراته وتصرفاته ويشرح لي أبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لم تكن تخفى علي خافية في أمور الحكم.
كانت صوفيا تحاول أن تستوعب هذا الكم من المعلومات والصدمة بادية على وجهها حين أيقظتها يد كاثرين على كتفها
– صوفيا مهمتك الجديد ربط الاتصال بأفراد الشبكة من الإناث وإعادة تفعيل نشاطهن.
ثم توجهت لأحد الصناديق وأخرجت لفافة وقدمتها لصوفيا قائلة:
– لقد جهزت لك لائحة بأسمائهن، احذري أن تقع هذه اللائحة في أيدي شخص آخر، وأنصحك بإتلافها بمجرد حفظ الأسماء الواردة فيها فتحت صوفيا اللفافة وألقت نظرة على الأسماء المدونة فيها، اتسعت عيناها في دهشة، هناك أسماء لم تكن لتفكر بها أبدا. لقد وصل الأمر أحيانا أن جندت نساء للتجسس على أزواجهن.
– وماذا لو أنكرت أحداهن الأمر
– ليست فيهن من تتجرأ، فرقابهن بين يدي والآن قومي بما طلبته منك، سأستحم وأنام قليلا، فغدا سيكون مفصليا في كثير من الأمور
دخلت كاثرين حمامها الخاص تاركة ورائها صوفيا التي تحولت نظرتها لمولاتها من نظرة شفقة إلى نظرة إعجاب وهمست قبل أن تخرج:
– أنت تستحقين كرسي الإمبراطورية فعلا..

في هذه الأثناء كان موريس قائد المأوى (السجن الذي أنشأه ماركوس

في قبو مخزن الحبوب) قد دخل مرحلة النوم العميق، وهي المرحلة المفضلة لأنغرا ماينيو للدخول لأحلام البشر، الحركة السريعة لعيني موريس تؤكد أنه قد بدأ يحلم، لو كتب لنا أن نشاركه حلمه سنراه واقفا بزيه العسكري قرب مجرى النهر يراقب طيور الإوز التي حطت لترتاح في طريق هجرتها نحو الجنوب.

لقد كبرت يا موريس

أجفلته العبارة فنظر خلفه ليواجه قائلها، لم يصدق عينيه عندما وجده نفسه وجها لوجه أمام والده.

– لم أعتقد أن ستة عشر سنوات ستكون كفيلة بأن تنسى ملامح والدك

– أبي هل هذا أنت حقا، لقد غادرت عالمنا منذ سنين، لا بد وأني أحلم

– أنت لم تخطئ يا ولدي، نحن حقا في حلمك، لكني هنا فعلا وقد أتيت من أجلك

قطب موريس حاجبيه في إشارة إلى عدم استيعابه لما يعيشه، فاستدرك والده:

– لا يهم أن تفهم يا ولدي لكن يجب أن تسمعني جيدا فأنا لا أملك الوقت، لقد سمح لي بزيارتك لكن لفترة وجيزة، لا بد أنكم كنتم تتساءلون عن غيابي المتكرر عنكم، لقد كنت في حياتي أخدم كيانا غير بشري، كانت طلباته غريبة لكنها لم تكن صعبة ولا محرمة وكانت جائزتي قطع ذهبية كنت أدفنها تحت شجرة الصنوبر العملاقة وقد حميت كنزي بطريقة علمني إياها الكيان الذي كنت أخدمه فصار مخفيا لا يدركه أحد إلا بوجودي، وقد حان وقت استخراجه يا ولدي، استرجع إرثي الذي تركته لك، أكثر من ألف ألف قطعة ذهبية

كان موريس يستمع لوالده غير مصدق لروايته لا بد وأن حبه للذهب خلق هذا السيناريو في ذهنه، هكذا كان يفكر موريس قبل أن يكمل والده وكأنه يقرأ أفكاره

– إليك الدليل الذي سيزيل كل شك في نفسك .

اقترب الأب من ابنه وأمسكه من ذراعه ومرر كفه عليها فظهرت علامة (–) بارزة على ذراعه.

– عندما تستيقظ ستجد هذه العلامة على ذراعك، هذا سيجعلك تتعامل مع الأمر بجدية أكثر

– ولكن لماذا انتظرت كل هذه السنين لتخبرني، لا تقل لي إنك لم تحصل على الإذن إلا الآن

– هذا سبب، لكن السبب الحقيقي هو أنك لم تكن لتحصل على الكنز بسبب تعويذة الحماية التي وضعتها.

– واليوم زالت التعويذة، أليس كذلك؟

– لا لم تزل، لكن لقد استجد جديد جعلني أطلب زيارتك قبل أن تضيع الفرصة

– اي مستجد تقصد

– سجينكم الجديد

تساءل موريس في حذر:

– إريس؟ وما دخل إريس بكنزك

– لا دخل له، لكن الرب أراد لك أن تتمتع بكنزي فبعثه إليك، تواجد إريس أثناء تنقيبك على الكنز سيبطل الحماية، فطالعه موافق لطالعي مما سيخدع خدام التعويذة

– إذن علي إخراج السجين واصطحابه معي لإخراج الكنز
– أجل، وهذا أمر سهل عليك، لكن عليك الانتباه لأمر أخير، يجب أن تقوم بالأمر الآن، زيارتي لك قد أطلقت طاقة لا بد وأنها وصلت لخدام التعويذة، إن لم تحصل على الكنز قبل شروق الشمس فسيضيع للأبد
أطرق موريس رأسه مفكرا لكن والده لم يمهله، حيث جذبه بقوة صارخا فيه وقد تحول وجهه لوجه شيطان قم
انتفض موريس برعب ليجد نفسه فوق سريره ويد زوجته تربت عليه:
– مجرد كابوس يا حبيبي.
ثم غادرت الفراش قائلة:
– سأحضر لك كأس ماء.
مرت ثواني على موريس قبل أن يستوعب الموقف، نظر لذراعه للحظات ثم رفع كم قميصه ببطء، كانت العلامة (–) بارزة حتى على ضوء الشموع.

عادت زوجة موريس بكأس الماء لزوجها لتفاجئ بالسرير بل وبالغرفة كلها فارغة، نادت عليه فلم يجب.
يبدو أنه ذهب لقضاء حاجته أو للسير تحت ضوء القمر كما اعتاد كلما مر بما يعكر صفوه، سأعود للنوم، هو ليس صغيرا لأقلق عليه، يستطيع الاعتناء بنفسه.

# الفصل الرابع

كان إريس بين اليقظة والنوم عندما سمع وقع أقدام قادمة في اتجاهه، تيقظت كل حواسه فجلس بانتظار زواره مبتسما،
أنغرا ماينيو لا تخلف وعدها.
فتح باب الزنزانة ليدخل موريس بزيه الرسمي برفقة عنصران من الحرس.
– انهض، سترافقنا
قالها أحد جنود موريس وتوجه نحو إريس الذي انتصب قائما واضعا رأسه في كيس أسود أشبه بما يوضع للمحكوم عليهم بالإعدام.
أمسك الجنديين كل بإحدى ذراعي إريس وتوجها نحو المخرج يتقدمهما موريس، كانت الأبواب تفتح أمامهم دون سؤال، ومن ذا الذي يتجرأ ويستفسر عما يفعله موريس.
تجاوزت المجموعة الباب الخارجي للمخزن بعدة أمتار فتوقف موريس واستدار لجنديه قائلا:
– لا حاجة لتذكيركما أنكما الوحيدين الذين يعلمان بهذه المهمة، سننهيها ثم نعيد السجين لزنزانته، إن تسرب أي خبر فسيكون الثمن رأسكما
أومأ الجنديان برأسهما فأكمل موريس طريقه مسترشدا بضوء القمر يتبعه مرافقاه وإريس بينهما.
مر الوقت بطئا على إريس الذي لم يكن يدري ما يجري حوله وعلى موريس الذي كانت مشاعره تتأرجح بين الأمل في الذهب والخوف من السير وراء وهم.
لاحت لموريس شجرة الصنوبر العملاقة باسقة تحت ضوء القمر، نبضات

قلبه تتزايد بعد كل خطوة تقربه لكنز أبيه.
فجأة لاح له خيال شخص جالس تحت الشجرة وقد أسند ظهره على جذعها.
– يبدو أن أحد المشردين لم يجد إلا شجرتي لينام تحتها.
قالها موريس بصوت مسموع وكأنه يكلم من خلفه، اقترب أكثر فأصبح الخيال واضحا أمامه.
– من أنت أيها العجوز وما الذي تفعله هنا قالها موريس بغلظة.
– أنا عابر سبيل،لم أجد إلا هذه الشجرة لتقبل بي ضيفا
– يؤسفني أن أخبرك بأنك غير مرحب بك هنا، هيا اعثر على مكان آخر لك لتفضي فيه ليلتك
تغيرت لهجة العجوز وهو بقول بصرامة
أجبرني إن استطعت
تطاير الشرر من عيني موريس في الوقت الذي تبادل فيه الجنديان نظرات الاستغراب، يبدو أن العجوز مل الحياة ويريد الانتحار، لكنه جبن عن قتل نفسه فألقاها بين ذراعي من لا يرحم، وحده إريس يعلم ما يحدث فقد تعرف الصوت من اللحظة الأولى.
سحب موريس سيفه وتوجه نحو العجوز قائلا
– لا تتوقع أن يمنعني سنك من تأديبي لك، لقد جنيت على نفسك وهوى بمقبض سيفه على فك العجوز.
فجأة وجد موريس نفسه معلقا من رقبته، ويد العجوز تحيط بعنقه رافعا إياه كطفل رضيع، لم يكن الجنديان بحاجة لأوامر موريس فدفعا إريس أرضا واستلا سيفهما ليهاجما العجوز الذي ألقى موريس في اتجاههما كلعبة،

ليصطدم بأولهما في حين تفاداه الثاني وأكمل انطلاقته في اتجاه العجوز وهوى عليه بسيفه لكن العجوز تفاداه بسرعة لا تناسب سنه وامسك بعنقه وضغط عليها ليدق عنقه بين أصابعه، امسك موريس بالجندي الآخر ودفعه في اتجاه العجوز صارخا فيه:

– أريد رأس هذا النذل

لكن مصيره لم يختلف كثيرا عن مصير سابقه.

تحرك العجوز في اتجاه إريس دون مبالاة لموريس الذي مازال تحت الصدمة ممسكا بسيفه ومتحفزا، مد العجوز يده وأنهض إريس بعد أن نزع الكيس من رأسه.

شكرا لك يا مولاي

قالها إريس فأجابه العجوز:

– ستعود فورا إلى المدينة يا إريس، تنكر وادخل متخفيا، سيكون موريس في خدمتك إذا احتجت إلى شيء

ثم أردف وهو يلتفت إلى موريس لأول مرة منذ نهاية المعركة الصغيرة التي دامت ثوان منذ قليل.

– أليس كذلك يا موريس؟.

– وما الذي يجعلني أطيعك أجاب موريس في توتر

– لن أقول أني سأقتلك إن لم تفعل يا موريس، لا، لكني سأدعك تحت رحمة ماركوس، ترى ماذا سيكون رد فعله إذا علم أنك هربت إريس من محبسه؟

– لا تستطيع إثبات شيء، الشاهدان الوحيدان قتلتهما بيدك، لا أحد يعلم بأني من أخرج إريس غيرهما، أستطيع ألقاء اللوم على أي من الحرس

وانتهى الموضوع
– أخبرني يا موريس، ما الذي جاء بك إلى هنا
لم يجب موريس واكتفى بمط شفته فقال العجوز
– أنا سأخبرك، تريد كنز أبيك، تلك قصة ابتدعتها ووضعتها في رأسك حتى أجعلك تحضر إريس إلي، وبنفس الطريقة سأخبر ماركوس عنك.
ثم نظر في عينيه قبل أن يكمل بصوت عميق
– إلا إن اخترت التعاون مع إريس
فكر موريس قليلا، يبدو أنه لا يملك الاختيار فقال مستسلما:
– ليكن، ما المطلوب مني؟
– سيخبرك إريس إذا كانت له حاجة لك، أما الآن فلديك مهمتان، أولاهما أن تحرص على أن لا يعلم أحد بهروب إريس من سجنه، يجب أن يبقى مسجونا في نظر الكل، خصوصا ماركوس
– سأحرص على هذا الأمر
– والمهمة الثانية ستكون توفير منزل آمن لإريس
قالها العجوز ثم توجه لإريس بالكلام:
– احرص على أن تبقى متخفيا، وكون شخصية جديدة تتمكن بها من التجول بشكل سلس داخل المدينة، لقد فكرت في أن تنتحل شخصية متسول، لكن هذا سيصعب عليك الدخول للقصر دون لفت الانتباه لذلك أعتقد أن شخصية راهب ستكون مناسبة للموقف الحالي، ضع دائما غطاءا على رأسك، وحاول أن تجد طريقة للوصول لكاثرين، المهمة يجب أن تنجز خلال أسبوع على الأكثر.
انحنى إريس على ركبته أمام العجوز الذي استدار لموريس قائلا بلهجة فيها

تهديد مباشر

– الخيانة عندي لها ثمن يجعل الجحيم مجرد نزهة

كان الصمت هو جواب موريس الذي راح يرمق العجوز وهو يختفي في الظلام، أخرجه صوت إريس الذي كان يفاضل بين سيفي الجنديين القتيلين

– أعتقد أنكما لم تعودا بحاجة للسيفين لذا سأستعير أحدهما.

التفت إليه موريس متسائلا

– من هذا العجوز، أكاد أقسم أنه من الجن.

– ما يهمك الآن هو أنك أصبحت داخل الدائرة، إن أثبتت ولاءك له فستكسب الكثير

– مثل ماذا؟ تساءل موريس في لهفة.

– حياتك

دخل الحاجب قاعة العرش منتصبا كعادته حتى توسط القاعة فأدى التحية قائلا:

– الوزير إيفان يستأذن مولاتي في الدخول.

كانت كاثرين جالسة بأنفة الملوك تضع تاج أبيها وخلفها تقف وصيفتها، فأشارت إليه بيدها ليسمح للوزير بالدخول قبل أن تردف:

– لا أريد أن يقطع أحد اجتماعي مع الوزير لذا لا تدخل علينا أحد حتى يحرج الوزير وأضافت وهي تضغط الكلام بين أسنانها وأقصد لا أحد،

كانت كاثرين قد سربت إلى ماركوس عن طريق ريبيكا خبر طلبها الاجتماع بالوزير، ولن يمر الكثير من الوقت حتى يحضر ماركوس، فشخص

كماركوس لا يحب أن يكون خلف الستار، لذا هي تريده أن يقف ببابها منتظرا إذنها، تريده أن يعرف من الحاكم الفعلي للإمبراطورة، هي لا تشك في ماركوس لكنها تخشى من حبه لها أن يعمي عينيه، لذا تريده أن يرى أمامه كاثرين الحاكمة لا كاثرين الحبيبة.

قطع حبل تفكيرها صوت خطوات الوزير إيفان الذي قال قبل وصوله إلي مجلسها:

– صباح الخير مولاتي

– مرحبا بوزيرنا الوفي، اجلس

جلس إيفان وهو يقول:

لقد توصلت باستدعائكم لي بسرور بالغ، فهذا يعني أنك تجاوزت الصدمة التي هزت أركان إمبراطوريتنا

ابتسمت كاثرين بحزن قائلة:

– والدي سيبقى في ذاكرتنا للأبد، لكن الحياة لن تتوقف لموت أحد، كما أن مصالح الرعية فوق باقي الاعتبارات

هز إيفان رأسه مؤكدا كلام كاثرين التي تابعت:

– ما أخبار الحكم إيفان؟

– الأمور مستقرة يا مولاتي وتحت السيطرة

– ليس هذا ما وصلني إيفان

– ماذا تقصد مولاتي؟

– وصلتني أخبار تؤكد أن ماركوس يجتمع كل ليلة ببعض القادة من المقربين له

قطب إيفان حاجبيه، فما تقوله الإمبراطورة خطير فعلا، لقد كان يخشى

من طموحات ماركوس وازداد توجسه منه بعد وفاة الإمبراطور، لكنه لم يتوقع أن يتحرك بهذه السرعة.

– أراك لم تعقب أيها الوزير

– لأن الأمر خطير يا مولاتي، هل أنت واثقة من مصدر هذه المعلومات.

ابتسمت كاثرين لتلقي طعمها الثاني بعد أن أمسك الأول فريسته:

– كما أثق بك وكما كان يثق والدي بك يا إيفان

شبك إيفان أصابعه أمام وجهه وصمت يفكر قبل أن يقول:

– هل تشكين في خيانة ماركوس لك

– لا أجابت كاثرين بشكل حاسم ماركوس خطيبي، وسنتزوج قريبا، فلا مصلحة له في خيانتي، بل بالعكس إن كان يطمع في السلطة فهو يحتاج لشرعيتي كإمبراطورة، وهنا مربط الفرس

– لم أفهم ما ترمي إليه مولاتي

– بعد زواجي بماركوس سيحاول التخلص من كل رجال أبي حتى يتمكن من التحكم في كل دواليب الحكم، وستكون أنت أول عقبة أمام حلم ماركوس

بدت ارتعاشة واضحة على يدي ووجه الوزير، التقطتها كاثرين لتتأكد من أنها بلغت مرادها، فأردفت:

– لكني لن أسمح له بإبعاد أخلص رجال أبي عن الحكم، ولهذا استدعيتك اليوم

هدأ كلامها بعضا من انفعالاته فأجاب:

– بماذا تأمريني يا مولاتي؟

– أولا أريدك أن تجتمع بأخلص القادة العسكريين لأبي، واحذر أن يكون

أحدهم مواليا لماركوس، اشرح لهم الأمر واحرص أن لا يكسبهم ماركوس في صفه، ثانيا أريد مراقبة تامة لماركوس ورجاله عد عليهم أنفاسهم، من اللحظة لا أريد لذبابة أن تطير أو تهبط دون أن أكون على علم بها

– تحت طوعك مولاتي، سأتابع الأمر بنفسي.

– يمكنك أن تنصرف إيفان

نهض إيفان وتوجه خارج القاعة تحت أنظار كاثرين التي استدارت لصوفيا قائلة لها:

– هل كنت مقنعة؟

ابتسمت صوفيا مداعبة إمبراطورتها:

– أنا نفسي كدت أصدقك.

دخل الحاجب بطريقته الرسمية قائلا:

– ماركوس يطلب الإذن للدخول

– منذ متى وهو ينتظر

– لقد حضر مباشرة بعد دخول الوزير

التفتت كاثرين لصوفيا:

– ما رأيك أن أتركه ينتظر قليلا بعد

ابتسمت صوفيا مجيبة:

– أرى أن لا تستفزينه أكثر يا مولاتي

ضحكت كاثرين وهي تمثل الدلال:

– ألست خطيبته؟ ألا يحق لي أن أتدلل عليه قليلا؟

ثم قالت للحاجب في غضب مصطنع:

– حسنا، دعه يدخل

ضحكت صوفيا وهي تقول:
– لا تنسي أنك إمبراطورة ولست تلك المراهقة اللاهية
قالت كاثرين وهي تشاهد ماركوس يدخل بلباسه العسكري ونظرته الجادة:
– كاثرين اللعوب هي من ستنتصر عليه وليست كاثرين الإمبراطورة
انحنى ماركوس أمام كاثرين وقال:
– صباح الخير يا مولاتي
أجابته كاثرين في غضب طفولي:
– بعد يومين تذكرت أن لك خطيبة عليك رأيتها
أنسته هذه الجملة الأمر الذي جاء من أجله فقال في توتر:
– لم أشأ أن أزعج مولاتي في هذه الظروف العصيبة
انفجرت كاترين في وجهه:
– بل كان عليك أن تكون بجانبي في هذه الظروف العصيبة
وضغطت على في هذه الظروف العصيبة مما جعل ماركوس يحس بالذنب، تحت أنظار صوفيا المبتسمة تنهدت كاثرين قائلة وقد خفضت حدة صوتها:
– آه يا ماركوس لو تعلم كم كنت في حاجة إليك خلال اليومين الماضيين
ازداد توتر ماركوس ليتمتم معتذرا:
– أعتذر يا مولاتي إن كنت أخطأت لكني لو علمت لتركت الدنيا وبقيت بقربك
قامت كاثرين وجلست بجانب ماركوس وأمسكت بكفيه قائلة:
– أنا خطيبتك يا ماركوس وقريبا سأكون زوجتك، فلا داعي لتناديني بمولاتي

أجابها ماركوس في حب:

– إن كنت سأعصى لك أمرا فسيكون هذا، فستبقين مولاتي ما حييت

ابتسمت كاترين لتنهض عائدة إلى كرسي العرش، جلست مستوية عليه قبل أن تقول:

– عفوا يا ماركوس، فلهفتي عليك وغضبي لتصرفك أنساني البروتوكولات، أنت لم تخبرني بعد عن سبب قدومك اليوم

ألا يكفيك شوقي إليك كسبب لقدومي يا مولاتي

– بلا يا ماركوس، لكني أحسست أن هناك أمر جلل جعلك تتذكرني فجأة وفي الصباح الباكر

– لا تقسين علي يا مولاتي، لقد اعترفت بخطئي

– حسنا يا ماركوس، إن لم يكن هناك أمر آخر فاعذرني فانا مشغولة قليلا.

تنحنح ماركوس في إحراج وقال:

– فلتأذن لي مولاتي

رفعت كاثرين يدها بطريقة معينة فهم ماركوس قصدها منها فتلقفها بقبلة ليستنشق معها عبيرا أنعش جوارحه قبل أن يدبر خارجا تحت أنظار صوفيا التي قالت بمجرد خروجه:

– حسن أنك لم تأتي بذكر إريس

– حاولي أن تتقصي أخباره يا صوفيا، فكثير من خطواتي معلقة بمعرفة مصيره

أومأت صوفيا برأسها وفي مخيلتها يلوح نفس تساؤل كاثرين

هل لديك علاقة باختفاء إريس يا ماركوس؟

في خطوات حاول أن يجعلها طبيعية ودون أن يكتر من الالتفات حتى لا يثير ريبة أحد، توجه موريس نحو أحد المنازل المملوكة له في طرف حي متوسط السكان اختاره لقلة نشاطاته ليكون منزلا آمنا لإريس، دخل المنزل وألقى الأكياس من يده قائلا بصوت مرتفع

– هل أنت في الداخل.

خرج إريس من إحدى الغرف يمسح وجهه بخرقة من الثوب.

– وأين تريدني أن أكون؟

قالها إريس وهو يقلب الأكياس وأردف:

– هل أحضرت كل ما طلبت.

أومأ موريس برأسه في إيجاب قبل أن يقول:

– لقد أحكم سيدك الحبل حول عنقي جيدا، أعترف له بالدهاء والمهارة، لا أملك الآن إلا الطاعة العمياء لكما.

– قم فقط بما يطلب منك ولن يضرك شيء

قالها إريس وهو يفرغ أحد الأكياس من محتوياته ليلتقط منه لباسا يبدو أنه عباءة راهب.

– أرجو أن يناسب مقاسك، لقد دفعت فيه الكثير، ليس من السهل على ضابط عسكري اقتناء مثل هذه الأشياء دون أن يثير التساؤلات

رمقه إريس بنظرة ساخرة، أمثال هؤلاء إن حركوا كرسيا من أمام باب المنزل فسيطالبون المؤرخين أن يدونوا ذلك في كتب التاريخ.

– جيد جدا، إنه مناسب .

قالها إريس وهو يشد إزار الثوب على خصره، دس سيفه أسفل الثوب

وربط خنجرا على ساقه اليمنى، لقد تطورت الأحداث سريعا وعليه أن يكون مستعدا لتقلباتها، توجه نحو الباب قبل أن يتوقف في منتصف الطريق، تذكر شيئا مهما،

فالتفت لموريس قائلا:

– هل قابلت ماركوس اليوم

– لا، ليس بعد، أخشى أن تفضحني عيناي

– لقد فكرت في الأمر مرة أخرى، خطتنا لم تكن مثالية، قد يقرر ماركوس زيارتي في أي لحظة، عندها لن تستطيع منعه، علمه بفراري سيفقدنا ميزة المبادرة

أومأ موريس برأسه متفهما وقال وماذا تقترح؟

رد إريس بسرعة أن أُقتل

– تقتل؟؟

قال إريس وكأنه لم يسمع سؤال موريس

– ماذا فعلت بجثتي الجنديين؟

– لقد دفنتهما بمعاونة من أخلص رجالي، آخر ما أريده في هذه الظروف هو طرح تساؤلات أنا في غنى عنها

– حسنا اسمع ما سأقوله جيدا ونفده بدقة، كل خطأ سيضع رقبتك تحت سيف ماركوس.

تحسس موريس عنقه وهو يتخيل ماركوس يستل سيفه من غمده فيما أكمل إريس:

– يجب أن ترى ماركوس فورا أخبره أنك تشك في أن هناك أمرا بخصوصي يجري من وراء ظهركما، أخبره أنك لم تعد تثق في أقرب الأقربين إليك وأن

هناك من سيعمل على إخراجي من السجن أو على الأقل إخبار كاثرين بأمر سجني، أقنعه أنك ستتولى قتلي وتشويه جثتي حتى لا يتعرف أحد إلي إذا ما ظهرت جثتي بطريقة أو بأخرى.

توقف إريس لحظات أخذ فيها نفسا عميقا قبل أن يكمل:

– أهم ما في الخطة أن تقنع ماركوس أن تتولى الأمر بنفسك، حتى يبقى هو بعيدا عن الشبهات.

– هل تعتقد أنه سينخدع

لنأمل ذلك لمصلحتك، قالها إريس تاركا موريس يندب حظه الذي أوقعه في صراع لا ناقة له فيه ولا جمل.

# الفصل الخامس

وقفت ريبيكا تصب الشراب لماركوس المنتشي بعد حديثه هذا الصباح مع كاثرين، كانت سعادته غامرة، لا بد وأنه تصرف بذكاء بحبس إريس، يبدو أن ابتعاد إريس عن كاثرين في هذا الوقت بالذات أخرجه من حياتها، لحظات ويدخل الخادم بصحبة موريس، بمجرد ما رآه ماركوس حتى صاح به:

موريس صديقي العزيز لقد جئت في أنسب وقت.

أمر ريبيكا بصب كأس لموريس مخاطبا إياه وهو يقهقه:

– هيا يا صديقي شاركني كأس انتصاري في الحب

لكن موريس ظل واقفا صامتا لا يجرؤ على النظر في وجه ماركوس، انتبه ماركوس للأمر فتوقف عن اللهو وقال لموريس:

– ما الخطب يا موريس، هل هناك ما يعكر صفوك يا صديقي

أدار ماركوس عينيه في أركان الغرفة لم يجد إلا ريبيكا فحياها بإيماءة من رأسه، إنه يعرف ريبيكا جيدا، ماركوس يثق بها وهو أيضا وطالما تناقش مع قائده في أمور حساسة بحضورها، لم يسبق أن تسربت أسرار اجتماعاتهما، إذن سيتحدث .

– لدي أمر أود التكلم فيه معك يا سيدي، أمر سيغضبك كثيرا

استوى ماركوس في جلسته وقد بدا الاهتمام عليه

– تكلم موريس هل الأمر يخص السجين

صمت موريس لحظات وأخذ نفسا عميقا وقال:

أجل يا سيدي

وبدأ موريس تنفيذ خطة إريس

اللعنة عليكم، اللعنة عليكم
صاح ماركوس وهو يرمي بأقداح الشراب كيفما اتفق، ثم استدار ناحية موريس وأمسكه من ياقته ليجذبه إليه قائلا
– احضر لي هؤلاء الخونة يا موريس سأقتلهم بيدي
هناك حل أفضل
– وما هو؟
– لنقتل إريس
لقد سبق وأن فكر ماركوس في هذا الأمر لكنه رأى أن إريس لا يستحق القتل لمجرد تنافس على قلب أنثى، أما الآن فالأمر مختلف، كاثرين لن تغفر له ما فعله إن تسرب الخبر إليها.
– اسمح لي سيدي أن أعرض عليك رأيي.
قالها موريس محاولا طرق الحديد ساخنا
– لقد فكرت في الأمر كثيرا، أنت لن تلوث يديك بدمائه، دع الأمر لي، سآخذه قرب مجرى النهر، وسأدق عنقه ثم أطلق عليه الكلاب لتنهش لحمه، سيبدو الأمر كأنه تعرض لهجوم من قطيع من الذئاب، ليس هذا فحسب بل سأحرص على تشويه ملامح وجهه فلا يعرفه أحد حتى أقرب الناس إليه
لم يفكر ماركوس بالأمر كثيرا، فقط أشار لموريس بما معناه نفذ.
انتصب موريس في تحية عسكرية لقائده واستدار خارجا وقد غلبته نشوته فابتسم، كيف لا وقد أزاح عن نفسه حمل تفسير فرار إريس من محبسه.

أما في ركن الغرفة فقد كانت ريبيكا تلهو بأصابع قدميها في لا مبالاة.

كانت صوفيا تنصت باهتمام بالغ لريبيكا وعيناها تتسع دهشة لما تسمع حتى انتهت ريبيكا من الكلام فقالت لها:

– هل انت واثقة مما تقولين؟

ردت ريبيكا:

– لقد كنت حاضرة لحوارهما منذ بدايته

قطبت صوفيا حاجبيها وهي تقول:

– إذن فقد صح حدس مولاتي الإمبراطورة.

هزت برأسها أسفا وأكملت:

– ما الذي فعلته يا ماركوس؟ تورطك في أمر اختفاء إريس لن تمرره مولاتي بسهولة.

ثم توجهت إلى ريبيكا بالحديث:

– وأين يحتفظون بإريس الآن؟

أجابت ريبيكا:

– لا أعلم لم يتحدثا أمامي في هذا الموضوع، لكن إن كان علي أن أحزر فلا أظن ماركوس سيجد مكانا أنسب من المأوى

تساءلت صوفيا

– أي مأوى؟

قصت ريبيكا لصوفيا قصة المأوى التي سبق وسمعت به في إحدى سهرات ماركوس، قبل أن تستأذن صوفيا في العودة قبل أن يستشعر أحدهم غيابها.

– حسنا يا ريبيكا

قالت صوفيا مرددة:
– لكن أبقيني على اضطلاع بأدق التفاصيل
خرجت ريبيكا تحت أنظار صوفيا التي توجهت مباشرة لمخدع كاثرين، فالأمر أخطر من أن ينتظر.

على عكس ما توقعت صوفيا، كانت كاثرين تستمع لها بهدوء حتى انتهت من رواية ما دار بين ماركوس وموريس، وقصة المأوى كما روتها ريبيكا، أطرقت كاثرين برأسها مفكرة لحظات قبل أن تطلب من صوفيا إدخال حارسها الخاص.
دخل الحارس وقدم التحية العسكرية لكاثرين التي بادرته قائلة:
– أنطوان، أريدك في مهمة سرية اختر لها أهل ثقتك من رجالك
– طوع أمر مولاتي
– اسمعني جيدا يا أنطوان، لقد كنت حارسي الخاص منذ أن وعيت على هذه الدنيا، ولا أثق بشخص أكثر منك أنت وصوفيا، لهذا لن أجد أفضل منك لأوكل إليه هذا الأمر، لكن لكي تقوم بمهمتك على أكمل وجه يجب أن تلم بكل المعلومات الخاصة بالأمر.
حكت كاثرين لأنطوان القصة بداية من لقائها بإريس وانتهاء بلقاء موريس وقائده، طبعا دون أن تأتي بذكر لريبيكا.
– ما المطلوب مني يا مولاتي
قالها أنطوان متحفزا لخدمة كاثرين، فقد أحبها كابنته، كثيرا ما كانت تأتي لتختبئ خلفه فيحميها من غضب مربيتها، لاعبها في صغرها وشاهدها تكبر، حتى عندما أصبحت إمبراطورة وفي أول أزمة واجهتها التجأت إليه،

أيقظته كاثرين من سهوه قائلة:
– أرسل بضع رجال لمراقبة مخزن الحبوب، أريد تقارير فورية لحظة بلحظة عن كل زائر للمكان أو خارج منه، أما أنت يا أنطوان ستكون مهمتك إنقاذ إريس،هيا أسرع بتنفيذ ما طلبته
أسرع أنطوان خارجا لتنفيذ أوامر كاثرين قبل أن توقفه:
– أنطوان، أحضر موريس حيا
وأردفت بهمس:
– أرجو أن لا يكون الأوان قد فات.

تحت جنح الظلام كان أنطوان يراقب مدخل منزل موريس، وبرفقته ثلاث من أخلص وأكفء رجاله، لم يمر وقت طويل حتى فتح الباب ليخرج موريس مسرع الخطى، توجه موريس ناحية شجرة الصنوبر العملاقة.
بحذر وعن بعد تبعه أنطوان ورجاله حتى التقى بشخصين آخرين تبادلوا بعض الكلمات قبل أن يبدأ الرجلين في الحفر
– ما الذي يفعلانه
قالها أحد رفاق أنطوان في همس، فأجابه الأخير:
– يبدو أنهم يحفرون قبرا لإريس، لا بد وأن عمليه التخلص منه ستكون هنا
تابع الرجلان الحفر ثم بدآ بإخراج ما يبدو أنه جثة.
– هم لا يحفرون قبرا بل ينبشوه قالها أنطوان قبل أن يكمل في حسرة
– لقد تأخرنا.
على الجانب الآخر كان موريس يراقب رجليه وهما يخرجان جثة أحد

الجنديين الذين قتلهما العجوز، كانت الجثة سليمة لم تبدأ عملية تحللها بعد، كانت خطته بسيطة، سيخرج أقرب الجثتين شكلا للإريس ويقوم بتشويه ملامحها ويدعي أمام ماركوس أنها جثة إيرس فيتجنب غضبه، خطة سهلة وبسيطة لكنها مضمونة.

– أطلقوا الكلاب لتنهش الجثة، أريد أن يذاع خبر العثور على جثة مجهولة في الصباح الباكر

قلها موريس وهو يغادر المكان، أشار أنطوان لأحد مرافقيه قائلا:

– ستبقى أنت هنا لتراقب المكان، وأشار للآخرين اتبعاني.

سار ماركوس وراء موريس محتفظا بمسافة تمنع الأخير من ملاحظته حتى وصل منزله.

– يبدو أنه غير مستعجل على إخبار ماركوس بإتمامه للمهمة، لا بد وأنه يريد للجثة أن تبقى ليلة أخرى في العراء. هكذا فكر أنطوان ثم أمر رجليه بالمرابطة في مكانهما وإخباره بأي تحرك لموريس.

ترك أنطوان مهمة مراقبة موريس لرفيقيه وتوجه لقصر الإمبراطورية، لا بد وأن تعلم كاثرين بالمستجدات.

– مسكينة أنت يا كثرين، تفقدين والدك ثم حبيبك، كيف سأخبرك بالأمر يا ابنتي.

قالها أنطوان وهو يلج باب القصر متوجها مباشرة لمخدع الإمبراطورة.

– هل نامت الإمبراطورة

قالها أنطوان لأحد الحراس فأجاب الأخير:

– لا أعتقد ذلك يا سيدي فصوفيا ما تزال في الداخل

وقف أنطوان أمام باب مخدع كاترين، شد قامته وأخذ نفسا عميقا قبل

أن يطرق الباب، مرت لحظات قبل أن يأتي صوت صوفيا من الداخل.
– هل هذا أنت يا أنطوان؟
أجاب أنطوان:
– نعم إنه أنا، هل مولاتي ما تزال مستيقظة
فتحت صوفيا الباب وهي تجيب سؤاله بسؤال آخر:
– وهل سيحظى أحدنا بالنوم في هذه الظروف؟
دخل أنطوان ينظر إلى الأرض ووقف منتصف الغرفة وكأنه يخجل من مواجهة كاترين، بل كان فعلا خجلا من مواجهتها، فقد فشل في أول مهمة أوكلتها له كاثرين بعد أن تولت الحكم، صوفيا أيضا أحست بأن أمر جللا كبل لسان أنطوان.
كانت كاثرين أول من تكلم:
– لقد تأخرنا يا أنطوان أليس كذلك؟
كانت الصمت أبلغ جواب في مثل هذه الظروف، جواب جعل صوفيا تشهق قائلة:
– هل فشلت يا أنطوان، هل قتل إريس
أطلت نظرت أسف من عيني أنطوان في حين تولت كاثرين الإجابة بدل منه قائلة في حزن:
– لم يفشل يا صوفيا، بل نحن من تأخرنا.
تكلم أنطوان لأول مرة منذ أن دخل مخدع الإمبراطورة:
– لقد نفذ ماركوس الخطة بحذافيرها وكان تحت عيني لحظة بلحظة، إلا في تفصيل واحد كان الفارق في فشل محاولة إنقاذ إريس، لقد قتل إريس ودفن منذ العصر، باقي الخطة نفدت تحت جنح الظلام.

مستحيل

صرخت صوفيا وهي تكمل:

موريس خرج من قصر ماركوس وذهب مباشرة إلى منزله ولم يخرج منه إلا ليلا، وقد كان تحت أنظارك وقتها.

قال أنطوان:

– وما أدراك أن موريس لم يذهب للمأوى قبل أن نبدأ مراقبته

– هذا أول ما خطر في بالي عندما وصلتنا أخبار الخطة، كنت أخشى أن يكون موريس قد بدأ تنفيذها قبل تحركنا، لكن كل المعلومات التي وصلتني تأكد أن موريس لم يذهب إلى المأوى بعد لقاءه بماركوس، كما أنه لم يقابل أحدا

قالت كاثرين

– هل تعلمين معنى ما تقول يا صوفيا؟

هزت صوفيا رأسها في حين قال أنطوان:

– إذا ربطنا ما تقوله صوفيا مع حقيقة أن موريس هو من أقنع ماركوس بالتخلص من إريس، فهذا يعني شيئا واحدا

قاطعته صوفيا قائلة:

–يعني أنه كما يتحرك ماركوس من وراء ظهرك فإن موريس يتحرك من وراء ظهر ماركوس

قطبت كاثرين حاجبيها قائلة:

– موريس عسكري صارم، لكنه محدود الذكاء، هذا يحيلنا إلى أمر أخطر

توجهت كاثرين نحو الشرفة وحدقت نحو النجوم لحظات قبل أن تقول

– هناك لاعب جديد دخل المباراة، وموريس ليس إلا بيدقا في يده

وجد استنتاج كاثرين صدى لدى أنطوان الذي سألها:
– ومن تعتقدينه يا مولاتي؟
صمتت كاثرين تفكر بعمق فقالت صوفيا بتردد:
– الوزير إيفان، إنه الوحيد القادر على ملاعبة ماركوس بهذا الدهاء.
– لكن إيفان لا يعلم بموضوع إريس
قالتها كاثرين وهي تقلب الاحتمالات في رأسها فردت صوفيا
– كما لنا أعين فأكيد أن له أعين
مرت لحظات من الصمت قبل أن تحسم كاثرين الموقف قائلة:
– أنطوان، صوفيا، من الآن الكل مشتبه به، لا تستثنيا أحدا، أنطوان ستخبرك صوفيا بأمر شبكة أبي الاستخباراتية التي أسعى لتفعيلها، ستتكلف بأفرادها من الرجال، في الصباح سأسلمك لائحة تضم أسمائهم، أريد أن تعمل الشبكة بكامل طاقتها غدا على أبعد تقدير، أحس أننا في معركة وجود، نكن أو لا نكون، اذهبا الآن، أريد أن أنام.
أدى أنطوان التحية العسكرية في الوقت الذي انحنت فيه صوفيا، وبمجرد خروجهما، انهارت كاثرين فوق سريرها تجهش بالبكاء.
– لماذا يا إريس.. لماذا يا حبيبي.. لماذا تركتني بعد أن جعلتني أشعر بالحب الذي حلمت به طويلا، أقسم يا حبيبي أن أعلق كل من تورط في مقتلك بباب القصر حتى تأكل الغربان لحمه
كانت كاثرين تفرغ شحنات من الحزن والغضب، لقد كتمت مشاعرها حتى أمام وصيفتها المقربة حتى تبقى للإمبراطورة هيبتها، تماسكت وأدت دورها كما درجها والدها، لكنها الآن مجرد فتاة فقدت حبيبها، فتاة تملك السلطة لترسل من حرمها حبها للجحيم.

كان إريس يلقي بصنارته في النهر محاولا اصطياد سمكة تشبع جوعه عندما سمع وقع خطوات قادمة في اتجاهه، استدار ليرى كاثرين قادمة نحوه فألقى الصنارة من يده وقام مستقبلا إياها قائلا:

– مولاتي الإمبراطورة؟ ما الذي أتى بك إلى هنا.

ردت كاثرين:

– يبدو أنك تفضل البقاء وحدك، اعذرني إذن، سأتركك لأسماكك

قال إريس:

– لم يكن هذا قصدي يا مولاتي، فقط استغربت وجودك هنا دون حرس ودون حتى وصيفتك

ضحكت كاثرين بشدة قبل أن تقول:

– لطالما تساءلت عن عدم قدرتكم أنتم البشر على التفريق بين الحلم والحقيقة.

نظر لها إريس للحظات قبل أن ينحني وهو يقول:

– مولاتي أنغرا ماينيو، ما نحن إلا كائنات بدائية، فاعذري ضعفنا وجهلنا

– هل من جديد يا إريس؟

– ماركوس يظنني ميتا يا مولاتي، وقد حاولت الاتصال بكاثرين أو وصيفتها لكن يبدو أنها لم يغادرا القصر طيلة اليوم

– إريس.. غدا يجب أن تكون كاثرين في الكهف.

– هذا ما كنت أنويه يا مولاتي، سأجد طريقة لمقابلتها حتى لو اضطررت لكشف نفسي لماركوس

– سأدعك تكمل حلمك يا إريس،

قالت إنغرا ماينيو وهي ما تزال في صورة كاثرين مردفة:

– فغدا سيكون لديك الكثير للقيام به.

كانت الشمس قد أشرقت منذ لحظات حين خرجت صوفيا من القصر الإمبراطوري متجهة لقصر الوزير إيفان، كان عليها رؤية إحدى وصيفات كاتالينا زوجة الوزير إيفان لتمدها بأي معلومات تمكنها من تحديد موقع الوزير في الأحداث المتسارعة التي عصفت بالمملكة منذ وفاة الإمبراطور السابق، لم يكن غريبا أن تدخل صوفيا قصر الوزير أو غيره من سادة الإمبراطورية فلطالما كانت صوفيا رسول كاثرين لمعارفها من بنات ونساء المسئولين، لهذا لم يتساءل أحد عن سبب زيارتها في هذا الوقت الباكر وهي تتجاوز مدخل قصر الوزير إيفان .

عند بهو القصر وقفت صوفيا تحاول إخفاء توترها قبل أن يأتي لها أحد الخدم بخير استيقاظ زوجة الوزير قائلا:

– ستجهز نفسها وترتدي ثيابها ثم ستقابلك بعدها مباشرة

ردت صوفيا:

– قدومي باكرا لا يعني أني مستعجلة، سأتجول في حديقة القصر قليلا إلى أن تجهز سيدتك

توجهت صوفيا للحديقة، وقفت في مكان معين تلتفت باحثة عن عينها في القصر، لقد أرسلت لها ليلا من يخبرها أن تكون هنا في الصباح الباكر.

– هل تأخرت عليك يا سيدتي

أجفل الصوت القادم من الخلف صوفيا لتستدير بعنف قائلة:

– هل أنت معتادة على التسلل هكذا؟

أجابتها أوجينيا وصيفة كاتالينا وهي تبتسم:

– بل أنت من كنت مشغولة البال فلم تنتبهي لقدومي
– لا وقت لدينا لهذا الحوار، لدي سؤال واحد، هل سبق وذكر أسم إريس في مجالس الوزير.؟
– أتقصدين الفارس الذي فاز كل مسابقات المبارزة؟ أجل، كثيرا ما كان الوزير يتحدث عنه، لقد كان معجبا به كفارس، سمعته يوما يفكر في استمالته ليكون من رجاله.
كان كلام أوجينيا كافيا ليبرأ الوزير من شكوك صوفيا لهذا وحرصا على أن لا يشك أحد بحوارهما أنهت صوفيا اللقاء وأكملت تجولها في حديقة القصر في انتظار كاتالينا.
سرحت صوفيا في أحداث الليلية الماضية، فمقتل إريس قد غير الأوليات رأسا على عقب، لكن ليس هذا ما يهمها الآن، إن أكثر ما يشغل بالها هي البرودة التي استقبلت بها كاثرين الخبر، هل حبها لإريس مجرد وهم أو إعجاب أم أن تسارع الأحداث لم يمهلها فرصة للتعبير عن مشاعرها؟ لم تكن لتراهن على ذلك فهي أكثر من تعرف مولاتها، لكنها هذه المرة تقف عاجزة عن فهم ما يموج في وجدان كاثرين.

مرت أقل من ساعة بقليل على دخول صوفيا قصر الوزير عندما همت مغادرة له بعد انجازها لمهمتها، كان الوقت ما زال مبكرا والطرقات فارغة إلا من أحد الرهبان الذي يمشي ببطء في خشوع، أومأت صوفيا برأسها تحية للراهب بمجرد اقترابهما من بعض. رد الراهب على إيماءة صوفيا وقال دون مقدمات:
– لدي رسالة لكاثرين

تعرف صوفيا على الصوت مباشرة، فاتسعت عيناها في دهشة بعد أن رفض عقلها تصديق أذناها، نزع الراهب غطاء رأسه لحظات وأعاده لتتحول دهشة صوفيا لذهول وهي تنظر لإريس حيا يمشي على الأرض ويكلمها، مرت لحظات نفضت فيها صوفيا عنها أثر الذهول لتخرج أولى الكلمات المختنقة بانفعال:

– أنت حي.. أنت فعلا حي

رد إريس الذي انتقلت إليه الدهشة:

– ومن أخبركم غير هذا الأمر

اختصرت صوفيا لإريس الأحداث فعقب إريس قائلا بابتسامة:

– إذن فقد تمكنتم من الوصول لخيوط مهمة في القضية، يبدو أن كاثرين ابنة أبيها فعلا

– لكن كيف بقيت حيا، وأنطوان قد رأى جثتك بعينه

– هو لم يرى جثتي، كل ما رآه جثة تستخرج من قبر مجهول فاستنتج أنها جثتي، لقد كانت العملية كلها من تخطيطي، لكن كان المقصود خداع ماركوس وليس أنتم.

– يجب أن أخبر مولاتي فورا يا إريس.

– هناك أمر خطير آخر يجب أن تعلم به، أخبريها أن تحضر متخفية إلى مجرى النهر قرب المنحدرات، سأكون بانتظارها هناك.

أومأت صوفيا برأسها قائلة:

– سأفعل.

ثم غادرت وخلفها صوت إريس:

– الأمر عاجل يا صوفيا ولا يحتمل أي تأخير.

أسرعت صوفيا الخطى وكأنها تحمل رسالة عسكرية فيها الفصل بين الفوز والهزيمة، لم تدرك كيف تجاوزت ممرات القصر لتجد نفسها أمام مخدع كاثرين، وقفت للحظات تسترجع فيها الأحداث محاولة إيجاد طريقة لإبلاغ كاثرين بالمستجدات، تنفست بعمق قبل أن تطرق الباب وتدخل، كانت كاثرين ما تزال مستلقية على سريرها وانتفاخ جفنيها يؤكدان قضائها لليلة بيضاء، جلست صوفيا مقابلة لكاثرين صامتة، نظرت لها كاثرين بابتسامة باهتة وقالت:

– لم تعد الأخبار السيئة تؤثر بي فهات ما عندك.

ردت صوفيا على ابتسامة مولاتها بابتسامة قائلة:

– هذه المرة لا يمكن وصف الأنباء التي أحملها بالسيئة، فالوزير لا علاقة له بموضوع إريس

بدت لمحة من الحزن على محيا كاثرين عندما ذكرت كاثرين إسم إريس، استقبلت صوفيا هذا الأمر بفطنتها المعتادة لتستغله مدخلا للحديث الهم التي أتت من أجله بهذه السرعة.

– مولاتي، لقد فكرت بما رواه أنطوان أمس فأثارتني بضع تفاصيل لم أنتبه إليها لحظتها

لم يبدو على كاثرين أي انفعال وهي تقول:

– مثل ماذا؟

– أنطوان كان على مسافة ليست بالقريبة حتى يؤكد أن الجثة التي أخرجت من قبرها هي جثة إريس، كما أن ظلام الليل لا يساعد على التعرف على الملامح من هذه المسافة

بدا بعض الاهتمام على كاثرين وإن عقبت:

– ستكون جثة من إذن إن لم تكن له، كل الأمور تؤكد على مقتله يا صوفيا فلا تبعثي بأمل زائف في قلبي، لقد تجاوزت الصدمة

إلا أن صوفيا قالت في إصرار:
– أنا متأكدة أن إريس ما زال حيا
تغيرت ملامح كاثرين وبدا الأمل في قسمات وجهها فقالت لصوفيا وكأنها ترجوها:
– وما الذي يجعلك متأكدة لهذه الدرجة؟
– لأنني قابلته منذ لحظات

جلس إريس على صخرة محاذية لمجرى النهر يلهو ببضع أحجار بين يديه ليخفف من توتره وهو ينتظر كاثرين، لقد بلغت لعبته نهايتها ولا يوجد مجال للخطأ، كما أن ضيق الوقت لا يسمح بأي محاولة أخرى، كان يراهن على حب كاثرين واشتياقها له، وهي مراهنة محسومة سلفا له، إلا أنه لن يرتاح قبل يكمل مهمته، وقع خطوات أيقظ حواسه ليقف متنبها للقادم الذي لم يكن سوى كاثرين، ارتسمت ابتسامة على محيا إريس تجمع بين الارتياح والحب والنشوة، قابلتها لهفة غير متوقعة من الإمبراطورة التي تخلت عن هيبتها وارتمت في حضن إريس مجهشة بالبكاء، هي لم تخبره أبدا بحبها له ولا هو أخبرها أنه يحبها لكن يبدو أن الأمر لم يعد يحتاج لكلام ولا لتوضيح، مرر يده يتحسس شعرها قبل أن يربت على ظهرها قائلا:
– سينتهي كل شيء اليوم، سنكون معا أبد الدهر.
لم تفهم فعلا ما قاله لكن ما كان يهمها هو أنه نطق بما يخالج فؤادها، لو كانت لها أمنية مستجابة الآن لتمنت أن يبقيا معا إلى نهاية عمرهما.
دفعها برفق قائلا:
– هل حضرت بمفردك؟
– لقد صحبتني صوفيا حتى أصبحت على مرمى بصرنا ثم أمرتها بالعودة، لقد رفضت أن تتركني وحدي لكني أصررت على عودتها متحججة ببعض

الأعمال الغير مكتملة التي كنت قد أوكلتها إياها
ثم أضافت بابتسامة وحمرة الخجل تكسو وجنتها:
– كما أنني أردت هذه اللحظة لنا فقط، أردت أن أحياها كإنسانة لا كحاكمة تراقب تصرفاتها
أجابها إريس .
– حسنا فعلت يا مولاتي، لكن الوقت ليس في صالحنا، وعلينا التصرف سريعا
– وما الذي تقترحه يا إريس؟
– الوقت الذي أمضيته في سجن ماركوس وهبني وقتا مكنني من تحليل الموقف جيدا، سنذهب الآن إلى كهف قريب، هو ليس كهفا بالمعنى المعروف، بل مكان مجهز بكل الحاجيات الأساسية، استعمله عندما أنقطع في تدريباتي.
– ولماذا لا نعود إلى القصر، سأجمع رجالي وأمسك بمقاليد الحكم نهائيا، لن يستطيع ماركوس التمرد على قراراتي
– سأخبرك عندما نصل يا مولاتي، كل ما أستطيع قوله لك الآن أننا سنكون معا بنهاية اليوم
– هل تعدني يا إريس
– أعدك يا مولاتي، أعدك
ودون إبطاء أمسك إريس كاثرين من يدها مسرعا بها بين الأشجار حتى وصلا إلى جرف صخري توجه إريس مباشرة إلى جزء كثيف بنوع من النبات المتسلق، أزاح بعض الأغصان ليكشف عن ممر بين الصخور، حشر جسده في الممر جارا وراءه كاثرين المندهشة لكنها مستلذة بالمغامرة التي تعيشها خاصة أنها تشاركها مع أول من خفق له قلبها.
توجه ماركوس للجدار الأيمن للكهف ثم حرك بعض القطع أمام دهشة

كاثرين ليفتح باب في صرير أرعب كاثرين التي التصقت أكثر بإريس.
( --- أشار له إريس بيده ليصمت وبدأ في العبث ببعض الأحجار بجدار الكهف كطفل يلعب لعبة البازل الشهيرة.
فجأة تحركت صخرة لتكشف عن مدخل غرفة ولجها إريس دون أن يكلم مانزو الذي لم يكن في حاجة لدعوة فتبعه دون تفكير..--- )
دخل إريس وكاثرين الغرفة التي أنارت بضوء أحمر بمجرد دخولهما، كانت كاثرين قد بدأت تفقد اتزانها فهمست لإريس وهي تراقب ذلك العجوز الذي يبدو وكأنه لم يهتم لدخولهما فاستمر في ما يفعله.
– من هذا الشخص يا إريس؟
وضع إريس سبابته أمام شفتيه في إشارة لها للسكوت فأردفت:
– هل أنت واثق مما تفعل؟
أجابها بابتسامة قائلا:
– ثقي بي يا مولاتي، الآن وهنا ستبدأ حياتنا السعيدة معا.
سحب ذراعه من بين يديها بصعوبة وتوجه خارجا، حاولت أن تتبعه إلا أنه أوقفها بإشارة من يده قائلا:
– ابق هنا يا مولاتي، سأقوم بأمر مهم في الخارج، عندما ينتهي الأمر سأكون بانتظارك
قالت كاثرين وهي ترمقه بنظرة احتجاج:
– ستكون في انتظاري أين؟ هل سأبقى وحيدة مع هذا العجوز.
رد عليها إريس مطمئنا:
– الأمر لا يعدو ثواني معدودة، ثقي بي يا مولاتي
ثم غادر تحت أنظار كاثرين.
( --- في الخارج كان إريس يقوم بمهمته الأخيرة يرسم على الثلوج دوائر متداخلة ويكتب حولها حروفا من لغة غير معروفة عندما سمع صرخة مانزو

كأنها آتية من قلب الجحيم..
لقد عادت أنغرا ماينيو ---)
كانت صرخة كاثرين أقوى من أن يتحملها إريس الذي حاول أن يغلق أذنيه بكفيه لكن ذلك لم يكن كافيا لمنع صوتها من الوصول إليه، مرت دقائق على إريس كأنها سنوات قبل أن تخرج كاثرين بكامل حيويتها وقد أمسكت بقدم العجوز تجره خلفها قبل أن تلقي به لإريس قائلة:
– تخلص من هذا الوعاء، لقد عانى المسكين كثيرا قبل أن يحصل على الراحة
ثم أغلقت عينيها وتنفست بعمق، كانت إنغرا ماينيو تتجول في ذاكرة كاثرين، طفولتها، مراهقتها تدريبها من أجل الحكم، أدق التفاصيل تتراقص لتتداخل مع تجارب آلاف السنين لتكون الشخصية الجديدة لكاترين.
فتحت كاثرين عيناها مبتسمة قائلة لإريس:
– أحسنت يا إريس.. لقد نجح الانتقال
لم يتمالك إريس نفسه وارتمى على كاثرين ليحضنها قائلا:
– لن يفرقنا أحد بعد الآن
في لحظات تحولت فرحة إريس إلى ألم شديد بعد أن رفعته كاثرين بيدها من عنقه قائلة:
– هل نسيت نفسك يا إريس
ثم ألقت به بشدة على جدع أقرب شجرة إليها وهي تستطرد:
– كيف تجرؤ على هذا الفعل
– مولاتي.. أنا أحبك.. أقصد أحبها
قالها إريس في توسل لتجيبه:
– تلك هي النقطة يا إريس لم يعد هناك وجود لكاثرين التي كنت تحب، سبق وحذرتك من أن يؤثر حبك على أدائك لمهمتك

أجابها إريس الذي يبدو أنه لم يستوعب الأمر بعد:
– لكني أديت مهمتي بنجاح يا مولاتي، لقد أحضرتها إليك، وقمت بطقوس الإحلال
قالت كاثرين في غضب:
– مهمتك ليست فقط إحضار كاثرين أو غيرها، مهمتك خدمتي ما دمت حيا
ثم توقفت لتلتقط أنفاسها قبل أن تقول بهدوء:
– أعلم أنك أحببتها بصدق،و هذا سبب آخر يشفع لك عندي، الآن سأذهب للمدينة فأنا مشتاقة للتحرك بجسدي الجديد، وأنت تخلص من جثة العجوز وقابلني في القصر، يجب أن أجد لك وظيفة رسمية تبقيك قريبا مني
هز إريس رأسه في طاعة والدموع تخنقه، أبقى عينيه على كاثرين حتى توارت بين الأشجار، هذه المرة لم تكن نظراته لها نظرات حب ولا حتى نظرات تبجيل وتقديس كما كان الأمر مع إنغرا ماينيو، بل كانت نظرات غضب ووعيد.

# الفصل السادس

جلست كاثرين بشخصيتها الجديدة على كرسي العرش تتحول في ذكرياتها الجديدة قبل أن يدخل الحاجب معلنا خصور الوزير إيفان، أذنت كاثرين للحاجب بالسماح للوزير بالدخول وذاكرتها تراجع كل ما دار بينهما خصوصا في الأيام الأخيرة.

– صباح الخير يا مولاتي

قالها الوزير وهو ينحني في إجلال مردفا:

– لقد حضرت صباحا لكنهم أخبروني أنك غادرت القصر

– أنا إنسانه يا إيفان قبل أن أكون إمبراطورة، لقد كنت في حاجة لتنفس بعض الهواء العليل فتجولت قليلا بالأحراش القريبة من القصر، والآن دعنا من هذا الأمر وأخبرني، هل قمت بما أوكلتك إياه يا إيفان.

أومأ إيفان برأسه قائلا:

– على أتم وجه يا مولاتي، كل قادة أبيك يجددون الولاء لك وسيكونون بجانبك إن قام ماركوس أو غيره بأي تحرك فيه تهديد لك، هم الآن في الخارج ينتظرون الاجتماع بك

– أحسنت يا إيفان، لقد ثبتك في منصبك أيها الوزير، أنا واثقة أنك ستقوم بواجباتك على أتم وجه كما عهدناك أيام والدنا.

قالتها كاثرين قبل أن تسأل إيفان:

– وماذا عن ماركوس؟

– سيكون هنا بين لحظة أو أخرى وقد يكون الآن في الخارج ينتظر إذنك للدخول

– كما أخبرتك من قبل لا تتركه يغيب عن ناظريك، لا هو ولا أحد من رجاله

قالتها كاثرين قبل أن تنادي الحاجب ليسمح بدخول المنتظرين على باب قاعة العرش، وكما توقع إيفان كان ماركوس أول الداخلين.

– صباح الخير أيتها الإمبراطورة

قالها ماركوس مبتسما محاولا أن يخفي لهفته وشوقه لكاثرين، كان ما يزال منتشيا منذ لقائهما الأخير، كيف لا وقد أزاح إريس من قلبها بل ومن الدنيا كلها، إلا أن ملامح كاثرين بقية جامدة دون أيه انفعالات مما جعل ابتسامته تختفي حرجا، وقف الحضور في صفين متقابلين عن يمين وشمال كرسي العرش، فأشارت لهم كاثرين ليجلسوا.

قالت كاثرين وهي مستوية على عرشها في أنفة الملوك:

– مرحبا بخيرة رجال الإمبراطورية، لقد كنتم نعم السند لأبي وحملتم هموم الرعية وغالبا ما قمتم بواجبكم على أكمل وجه، فاسمحوا لي أن أشكركم بدت لمحة من الرضا على وجوه الجميع فأردفت كاثرين قائلة:

– لكن بعضكم حاول استغلال وفاة أبي من أجل تحقيق مكاسب شخصية معتبرين الجالسة على العرش مجرد فتاة لاعبة لاهية لا دراية لها بأصول الحكم والسياسة

تعالت همهمات الاستنكار داخل قاعة العرش فأوقفتها كاثرين بإشارة من يدها مكملة:

– 'لم أطلب الاجتماع بكم من أجل محاكمة أو معاقبة أحد، بل من أجل أن أهب لكم فرصة ثانية لتصحيح مواقفكم وإثبات ولائكم.

أطرق الجميع برأسه فقد كان الكلام عائما يؤخذ على كل الأوجه، لهذا

كل اعتقد أنه المعني بالكلام، كان إيفان أول المتكلمين فقال:
– هذا يثبت أن والدك أحسن تجهيزك للحكم يا مولاتي.
في هذه الأثناء دخل الحاجب القاعة قائلا:
– السيد إريس يطلب الإذن بالدخول
انفجرت الكلمات ككرات نار في عقل ماركوس الذي توقف به الزمن لحظات يحاول استيعاب ما سمع، دخل إريس القاعة بعدما أذنت له الإمبراطورة فأشارت كاترين للحضور قائلة
– لينصرف الجميع
ثم وجهت كلامها لماركوس:
– ابق أنت يا ماركوس لدي كلام لك أنت وإريس
جلس أريس أمام ماركوس الذي كان يلوك أسنانه في توتر وغضب وهو يقول في نفسه:
– اللعنة عليك يا موريس، اللعنة عليك، أقسم أن أقتلك بيدي، لا بل سأطعمك حيا للكلاب الجائعة
– أرى أن حضور إريس قد فاجأك يا ماركوس
قالتها كاثرين بخبث فأجابها ماركوس دون أن يحاول إخفاء تذمره:
– كل ما في الأمر أني ظننته قد رحل إلى غير رجعة
أجلبه إريس بابتسامة مستفزة:
– واترك مولاتي؟
انتفض ماركوس وصاح في وجه:
– لا شأن لك بالإمبراطورة، نحن مخطوبان، ولن يتأخر عقد قراننا كثيرا
قاطعته كاثرين:

– بمناسبة ما ذكرت يا ماركوس، يؤسفني أن أخبرك أني قد فسخت خطبتنا
أطلت نظرة من الذهول من عيني ماركوس الذي قال بصوت أشبه بالهمس:
– تفضلين لقيطا لا نعلم عن أصوله شيئا عني أنا ماركوس قائد الجند
نهضت كاثرين صارخة والشرر يتطاير من عينيها:
– هذه آخر مرة أسمح لك بمناقشة قراراتي ولتعلم أني زاهدة في الزواج، لا منك ولا منه ولا من غيركما
كان ماركوس يشاهد نسخة جديدة من كاثرين لم يسبق له أن قابلها فقال هامسا:
– كثيرا ما سمعت أن السلطة تغير البشر، لكن لم أتوقع أن يكون التغيير جذريا لهذه الدرجة
جلست كاثرين وهي تقول بهدوء:
– اجلس يا ماركوس، لطالما أثار إعجابي ذكاؤك وحنكتك، فلنتحدث بوضوح ولنكشف كل الأوراق.
جلس ماركوس وهو ينظر لإريس ولسان حاله يقول:
كل شيء بدء بك يا إريس، أنت السر وراء هذا التغير.
و كأن إريس قرأ ما يدور في خلد ماركوس فقال:
– ماركوس، إن كان على أحدنا أن يكره الآخر فيجب أن أكون أنا هذا الشخص، فقد سجنتني وحاولت قتلي.
قال ماركوس في حدة:
– لا يحق لك اتهامي بدون دليل.
تدخلت كاثرين قائلة:
– ماركوس، اتفقنا على أن نكشف كل الأوراق، أنا أعلم كل شيء عن

المأوى وموريس وجثة إريس والذي أصبحت تعلم الآن أنها ليست له والتي كنت تنتظر عثور أحدهم عليها حتى تعلن وفاته.
حاول ماركوس الاعتراض لكن إشارة من يد كاثرين ألجمت لسانه لتكمل قائلة:
– ماركوس، كما قلت سابقا لسنا هنا من أجل محاكمة ولا من أجل تبادل الاتهامات، أريد فتح صفحة بيضاء خصوصا بينكما
كان ماركوس يحاول تقييم مكاسبه وخسائره على ضوء المعطيات الجديدة التي فرضتها الإمبراطورة، فهو كرجل عسكري يعلم أن حتى في الهزيمة مكاسب عليه استغلالها، لذا إن كان فقد كاثرين كزوجة وحبيبة فعليه أن يكسبها كإمبراطورة، لكن في نفس الوقت عليه أن يبقى ممسكا بزمام المبادرة، لقد خسر هذه المعركة وهو غير مستعد لخسارة معارك أخرى، أما إريس فسيكون تحت أنظاره، فقال في نفسه:
– سنرى من يضحك أخيرا
– لم أعد منافسا لك يا ماركوس.
قالها إريس بأسى ثم نظر لكاثرين مردفا:
– فلم يعد هناك شيء لنتنافس عليه

كان موريس يجلس خلف مكتبه عندما دخل عليه ماركوس ممسكا قارورة من الشراب قائلا:
– كما عهدتك دائما يا موريس، فأنت تقدس العمل كثيرا
تحسس موريس مقبض سيفه وهو يقول بابتسامة حاول أن يجعلها حقيقية قدر الإمكان:

– مولاي لقد شرفتني بمجيئك لمكتبي
– انتظرتك لنشرب نخب إريس سويا لكنك لم تأتي إلي فواتتني فكرة مجنونة أصررت على تنفيذها.
كان موريس يستشف في نبرات ماركوس سخرية فجالت في فكره عشرات الاحتمالات لم يستثني منها كشف ماركوس لخيانته، لذلك لم تفارق يده مقبض سيفه وهو يقول:
– أنا ذراعك الأيمن يا مولاي، ومهما بلغ جنون فكرتك سأساعدك على تنفيذها
قال ماركوس وهو يجول بنظره في أنحاء الغرفة .
– لم أقصد بالمجنونة أنها صعبة أو مستحيلة لكنها غريبة بعض الشيء
ثم نظر في عيني موريس قائلا:
– سنشرب نخبه في زنزانته
ثم استدار خارجا ملوحا بقارورة الشراب وهو يردف:
– لقد أحضرت الشراب الذي تحبه يا صديقي، فهيا احضر لنا كأسين واتبعني
توجه ماركوس للزنزانة التي كانت قبل يومين سجنا لإريس وموريس يتبعه وهو يحاول أن يلتقط أي تصرف من ماركوس يكشف عن نواياه .
دخل الاثنان الزنزانة فمد ماركوس القارورة لموريس وهو يقول:
– صب لنا الشراب يا موريس، لكن أخبرني أولا.. كم دفع لك إريس لتطلق سراحه؟
رغم أن موريس كان يشك في أن ماركوس قد علم بخيانته إلا أنه تفاجئ خصوصا بالطريقة المباشرة التي تحدث بها ماركوس، حرك يده بعفوية في

اتجاه سيفه ليكتشف أن كلا يديه غير حرتين اليسرى تمسك الكأسين واليمنى تمسك قارورة الشراب، التقط ماركوس حركة يد موريس ليقول له:
– هل أنت محتاج لسيفك الآن يا موريس؟ لا أرى غيرنا هنا، أم أنك تفكر باستعماله ضدي؟
لم ينطق موريس مما جعل ماركوس يعيد سؤاله مرة أخرى:
– لم تجبني بعد يا صديقي الوفي، كم دفع لك إريس لتطلق سراحه؟
أجاب موريس بصوت مرتعب أقرب للتوسل:
– ليس مسألة نقود يا مولاي، القصة طويلة وحتى لو حكيتها لك فأنت لن تتفهم موقفي
هز ماركوس رأسه قائلا:
– صدقت يا موريس
و بحركة سريعة استل سيفه وأطاح برأس موريس وهو يقول:
– فأنا لا أتفهم أسباب الخيانة
كانت قوة ضربة ماركوس بحيث أن جسد موريس بقي واقفا منتصبا رغم أن رأسه قد انفصل عنه، فدفعه ماركوس بقدمه وهو يقول:
– أبلغ تحياتي لشياطين الجحيم

في حديقة القصر الإمبراطوري كانت كاثرين برفقة صوفيا وخلفهما أنطوان الحارس الخاص للإمبراطورة.
قالت كاثرين موجهة كلامها لأنطوان:
– هل تظن أن رسالتي قد وصلت لكل المسئولين يا أنطوان
أجاب أنطوان:

– بل أنا متأكد يا مولاتي، خصوصا ماركوس، لا بد وأنه شعر أنك توجهين الكلام له شخصيا

ابتسمت كاثرين في رضا وهي تسأل صوفيا

– وماذا عن التقارير اليومية، كيف هو المزاج العام

ردت صوفيا بحماس

– كلها ايجابية، العامة من الرعية راضون على طريقة تسييرك للحكم خصوصا عندما سربنا لهم كواليس اجتماعك الأخير، أما رجال البلاط فالتقارير تأكد أن الجرذان قد بدأت في التواري بجحورها، لقد رأوا إمبراطورة مهيبة الركن أمامهم بعد أن ظنوا أن أمور الحكم ستكون لهم وأنه لن ينالك من الحكم إلا الاسم

وماذا عن إريس؟

قالتها كاثرين بشكل مفاجئ ليتبادل أنطوان النظرات مع صوفيا الثي قالت بعد تردد:

– لا أفهم لم تغيرت مشاعرك نحوه بين عشية وضحاها، لقد كنت مستعدة لمواجهة العالم في سبيل الزواج به، أعلم أنك أحببته بحق، فما الذي فعله حتى تقسين عليه وعلى نفسك هكذا

ردت كاثرين وهي تصطنع الحزن:

– منصبي يا صوفيا لا يترك لي رفاهية الحب والعشق، كما أن الحكم في غنى عن صراع داخلي أحد أطرافه قائد الجند.

هنا تدخل أنطوان قائلا:

– كان بإمكانك اختيار ماركوس زوجا، لا أظن إريس يملك سلطة ولا قدرة على الاعتراض.

صمتت كاثرين وهي تراقب سربا من العصافير يحلق فوقهم، صحيح أن إريس لا يملك سلطة ولا قدرة على الاعتراض لكنه أحب كاثرين بشدة وهي حرمته منها، إريس خدمها منذ وفاة والده المفاجئة، كان في الرابعة عشر من عمره وقتها، دائما ما أبدى لها الولاء، لذلك هي تكره أن تقتله، لكنها لن تتردد في ذلك إن شكت لبرهة في خيانته لها، قطع تفكيرها صوت وقع خطوات قادمة في اتجاههم، كانت خطوات جندي من رجال أنطوان، توقف الجندي على مسافة من الجميع ليتوجه إليه أنطوان فهمس له ببضع كلمات وانصرف، عاد أنطوان لكاثرين التي بادرته:

– هل من جديد يا أنطوان؟

رد انطوان بابتسامة اعجاب:

– حدث ما كنت توقعينه تماما يا مولاتي

ردت كاثرين بابتسامة قائلة

– أرسل إذن لماركوس من يستدعيه للقصر غدا صباحا، لقد أدار الحبل حول عنقه وعلي أن أشده قليلا

انحنى أنطوان في تحية عسكرية في الوقت الذي قالت فيه صوفيا بنوع من الاحتجاج:

– هل هو خبر لا يحق لي الاضطلاع عليه؟

قالت كاثرين بدون مقدمات:

– لقد قتل ماركوس موريس

في غرفته داخل قصر الإمبراطورية، الغرفة التي جهزت له بعد أن أوكلت له كاثرين مهمة قائد الحرس الإمبراطوري، كان إريس مستلقيا بزيه الكامل

على ظهره يتأمل سقف الغرفة يسترجع اللحظات القليلة التي قضاها مع كاثرين، كاثرين الحبيبة وليست كاثرين الجديدة، لقد أحضرها بنفسه إلى الكهف، هل خان حبهما، لكنه تابع لإنغرا ماينيو ويدين لها بالولاء كان عليه أن يختار، سينسى، الزمن طبيب شاطر، هكذا كان يفكر عندما دخلت عليه صوفيا قائلة.

– هل أعجبك جناحك الجديد؟ لقد كان مسكنا خاصا للوزير إيفان قبل أن ينتقل لقصره الخاص

أجابها إريس وهو ينهض عن فراشه:

– لقد اعتدت على النوم في البراري لهذا فأي مسكن فيه رفاهية لي

ضحكت صوفيا وهي تقول:

– لو كنت أعلم هذا لما بذلت كل هذا الجهد في تجهيزه بهذه الصورة

ابتسم لها إريس شاكرا إلا أن ضحكتها سرعان ما تلاشت وهي تقول في أسى:

– ماذا حدث بينكما يا إريس؟ لم كل هذا الجفاء؟

رد إريس وهو يدير وجهه:

– لا شيء من جهتي يا صوفيا.. اسأليها هي، فأنا ما زلت أمنّي نفسي بأن أحض بها

– أنا أسألك أنت يا إريس

قالتها صوفيا بحدة مردفة:

– لقد ذهبت لمقابلتك قرب مجرى النهر ثم عادت مختلفة.

قال أريس وكأنه يكلم نفسه:

– لقد أصبحت شخصا آخر، لكني متأكد أن كاثرين التي نعرفها ما تزال

هناك في مكان ما
اقتربت صوفيا من إريس حتى التصق صدرها بظهره وهمست في أذنه:
– أخبرني يا إريس ما الذي حدث، أن تعرف أن كل ما يهمني هو سعادتكما، أخبرني الحقيقة، فقد أستطيع المساعدة
استدار إريس ليواجه صوفيا، نظر إليها لحظات ثم دفعها عنها برفق، استل سيفه وأمسك بحده بشدة ثم أخذ يمرره على كفه، لم يكن يشعر بأي ألم، أعاد السيف إلى غمده قائلا:
– إن كنت تشكين بخيانتي فأنا لا أستحق خدمتك

هناك..
في مخدع الإمبراطورة.
فتحت كاثرين عيناها ترمق السقف مبتسمة وهي تقول:
– لقد تعلمت التفريق بين الحلم والواقع يا إريس، أنت فعلا تشبه جدك الأكبر.

فتح إريس عينيه ليجد نفسه على فراشه، كان يتذكر الحلم جيدا، فجال خاطر في ذهنه هل ما زال يحلم، ضغط جزءا من أصبعه الأصغر بين ظفريه فأحس بألم خفيف، هذه المرة هو مستيقظ، نهض واتجه نحو صندوق يجمع فيه بعض أمتعته بحث قليلا حتى وجدها، إبرة كان يرقع بها أحيانا ملابسه.
جلس على حافة الفراش يفكر:
علي أن أجد طريقة أفرق بها بين الحلم والحقيقة.

ما يفكر به خطير فإن علمت به أنغرا ماينيو أو كاثرين في شخصيتها الجديدة فسيكون مصيره سيئا جدا، وحتى إن استطاع مراوغتها فهو لا يضمن شخصا آخر، إذن فسيكون هذا هو سره حتى يجد طريقة لتحرير كاثرين، كانت هذه الأفكار تراود إريس وهو يكسر رأس الإبرة ثم ادخله في كرة من المطاط بحجم حبة حمص، ضغطها مرة بعد مرة وفي كل مرة يظهر رأس الإبرة ثم يتوارى عندما تعود الكرة لشكلها الطبيعي، ابتسم إريس قائلا:

– ستكونين حارستي من الآن

أضاف الكرة إلى عقد كان يلبسه ثم ضغط عليها في تجربة أخيرة قبل أن يبتسم عندما أحس بألم الوخز.

– سأكون مجبرا على وخز نفسي قبل كل حوار.

قالها في نفسه مردفا:

– سأحررك يا حبيبتي، لن أتركك جسدا بلا روح وروح بلا جسد، سأجد الوسيلة حتى لو كان هذا آخر عمل في حياتي.

كان الصباح قد طلع عندما أنهى إريس تميمته الحارسة الجديدة وهو يأمل في أن لا ينسى استعمالها.

خرج ليتريض كعادته وبين لحظة وأخرى يتحسس قلادته، لم يكن قد أكمل تريضه عندما شاهد صوفيا تقطف بعض أزهار الحديقة فابتسم وهو يتذكر حلم الأمس،ضغط قلادته، هو لا يحلم، كانت الحديقة فارغة إلا منهما وأحد البستانيين الذي كان منهمكا في عمله بعيدا بمسافة كبيرة عنهما، توجه ناحيتها قائلا:

– يبدو أنني لست الوحيد الذي يستيقظ باكرا

جفلت صوفيا فأردف إريس قائلا:
– عفوا، لم أكن أقصد إخافتك
ردت صوفيا:
– لا عليك، أنا المخطئة، فقد سرح عقلي في أمر يورقني.
– وما الذي يؤرق جميلة القصر.
قالها إريس وهو ينظر في عيني صوفيا التي علت وجنتيها حمرة الخجل، لم تكن نظراته لها عادية، لقد سبق أن رأت مثل هذه النظرات، أجل، كان ذلك عندما شاهد كاثرين أول مرة.
– هل يحاول إيقاعي في حبه، لا، لن أسمح أن أكون الحب البديل الذي سيجبر كسر حبه السابق.
قالتها صوفيا في نفسها قبل أن توجه كلامها لإريس:
– لماذا تغيرت مشاعركما بهذه السرعة يا إريس؟
تحسس إريس قلادته في توتر قبل أن يقول:
– كاثرين اختارت طريقها، وقد احترمت رغبتها، لا يمكنني إجبارها على اعتناق ما لا تؤمن به، كما أن الحب لا يعني استعباد الآخر
قالت صوفيا
– تقصد أنك أخرجتها من قلبك
أجاب إريس بتحد:
– هل تريدين إقناعي أنك لم تلاحظي الاختلاف الكبير في شخصية كاثرين بعد اعتلائها العرش؟
ردت صوفيا:
– بل التغيير بدأ بعد زيارتها لك بعد هروبك من المأوى

تنهد إريس وقال:
– كل ما في الأمر أن كاثرين كانت تحس بتأنيب الضمير لاختفائي، فقد علمت أن لغيرة ماركوس علاقة بهذا الاختفاء. لهذا قامت بكل تلك الجهود لإنقاذي.
كانت صوفيا تستمع غير مصدقة لما يقوله إريس الذي أكمل وكأنه يحاول إقناعها:
– هي من أخبرتني بذلك، كما أن زيارتها لي لم تكن إلا لتخبرني بقرارها التفرغ للحكم ولهذا لم تسمح لك بمرافقتها.
أطرقت صوفيا برأسها في محاولة لفهم سر هذه التغييرات إلا أن إريس لم يترك الوقت لها لذلك فاقترب منها هامسا:
– علي أن امضي في حياتي يا صوفيا، على أن أعثر على حبي الحقيقي
قالت صوفيا وهي تحاول التهرب من محاصرته:
– تقصد الحب البديل
مرر أنامله يتحسس وجنتيها قائلا:
– بل الحب الحقيقي الذي يحارب الكون حتى ينتصر
أشاحت صوفيا بوجهها قائلة:
– ولماذا لم تحارب من أجل حبك
أجاب إريس وهو يحاول استنشاق رائحة شعرها:
– لأنه لم يكن حبا حقيقيا يا صوفيا
ابتعدت صوفيا برأسها قائلة:
– ابحث عن حبك الحقيقي إذن يا إريس، أتمنى لك أن تجده قريبا:
– لقد سبق وفعلت يا صوفيا، لا تحاولي إقناعي أنك لم تفهمي ما أرمي

إليه
قالها إريس ويده على كتف صوفيا التي انتفضت قبل أن تطلق ساقيها لتسابق مشاعرها خوفا من الاستسلام لحركات إريس، هذا الأخير الذي ظل واقفا يراقبها حتى توارت عن نظره فهز رأسه قائلا بأسى:
– سامحيني يا صوفيا.

– سامحيني يا صوفيا.
قالها إريس وهو يعيد ترتيب حساباته، كانت خطة إريس تعتمد على أمرين، أولا منع أنغرا ماينيو من التسلل لأحلامه أو بالأحرى كشف هذا التسلل واتخاذ الحيطة أثناء ذلك، وثانيا إقناعها أنه تجاوز صدمة فقدانه لكاثرين وأنه مضى في حياته وهنا اختار صوفيا لقربها من كاثرين، الأهم الآن أن تقتنع صوفيا بهذا الأمر، فإذا اقتنعت صوفيا اقتنعت كاثرين.
– صوفيا فتاة رقيقة لا تستحق أن يكسر قلبها.
هكذا فكر إريس قبل أن يجيب نفسه:
– وما الذي سيكسر قلبها؟ سأحرص على أن تشعر بالحب في كل لحظة تكونها بجانبي، فقط علي أن أقنعها أن كاثرين أصبحت ماضي.
كان لقائهما في الحديقة صباحا قد أعطى أملا كبيرا لإريس، لقد ألقى بجمرة الحب الأولى في قلبها، عليه فقط أن يرعاها حتى تتحول لنار مستعرة، هو أيضا سيحبها بعد أن تأكد من تبخر أمله في كاثرين، هكذا أقنع نفسه.
في الجانب الآخر كان ماركوس مصرا على الظفر بكاثرين خصوصا وأنه مؤمن أن السلطة والعرش كانا السبب في قرار العزوبية التي اتخذته كاثرين،

لكنه واثق من أن هذا الأمر لن يستمر طويلا، قرارها كان يصب في مصلحته تماما. إلا إذا كانت خطة من كاثرين وإريس لإبعاده مدة من الوقت حتى يخلو لهما الجو، لهذا وضع إريس تحت مراقبة صارمة من رجاله، قطع تفكيره وقع خطوات أحد رجاله الذي أدى التحية العسكرية ثم وقف منتصبا قائلا:

– وصل تقرير اليوم عن إريس

قال ماركوس باهتمام:

– هات ما عندك

رد الجندي:

– لقد خرج إريس من غرفته باكرا للتريض والتقى بوصيفة الإمبراطورة في حديقة القصر تكلما قليلا وعاد لغرفته ولم يخرج منها للآن

مرر ماركوس يده على لحيته وهو يفكر بصوت مسموع:

– إريس لم يقم بخطوته الأولى بعد، لا يمكنني فعل شيء الآن.

قال الجندي:

– هناك أمر آخر يا مولاي

في نفاذ صبر قال ماركوس:

– أي أمر؟

أجاب الجندي:

– يقول التقرير أن لقاء إريس وصوفيا وإن كان الظاهر أنه حدث صدفة إلا أنه لم يكن لقاء طبيعيا، بل كان أشبه بلقاء عاشقين

برقت عينا ماركوس في ظفر، فإن صح ما ورد في التقرير فقد صدق إريس حينما قال أنه لم يعد منافسا لماركوس.

# الفصل السابع

دخل الوزير إيفان إلى مقر عمله ليقابله أحد الحراس قائلا:

– مساء الخير يا مولاي

أجاب الوزير دون أن يتوقف:

– مساء الخير

قال الحارس وهو مشي بجانب الوزير منحنيا:

– القائد ماركوس ينتظرك في مكتبك يا مولاي

أوقفت المفاجأة إيفان الذي قال بدهشة:

– ماركوس؟ قائد الجند؟ لم يسبق له زيارتي بدون موعد مسبق، ما الذي أحضره

أجاب الحارس بتوتر:

– لم يخبرني يا مولاي، كما أني لم أستطع منعه من الدخول لمكتبك.

هز ايفان رأسه متفهما وهو يقول في قرارة نفسه:

– ومن يستطيع منعه؟.

ولج إيفان مكتبه مرحبا بماركوس الذي كان يقف بجانب مكتبة الوزير يقلب صفحات كتاب اختاره بعشوائية ليقتل الوقت في انتظار حضور إيفان، وضع ماركوس الكتاب في مكانه قائلا:

– لا أعلم من أين تأتي بالوقت للقراءة أيها الوزير

أجابه إيفان ضاحكا:

– ولا أنا يا قائد الجند

ثم استطرد بحذر:

– أية ريح طيبة حملتك إلينا يا ماركوس

رد ماركوس مداعبا إيفان:

– يبدو أن زيارتي لك أمر غير مرغوب فيه عندك يا إيفان؟

أجابه إيفان ضاحكا وهو يتخذ مكانه وراء مكتبه:

– اجلس يا ماركوس، كلانا لا نستلطف بعضنا، لكن ليس هناك عدو دائم ولا صديق دائم في السياسة

قالت ماركوس وهم يمط شفتيه:

– لهذا السبب أكرهها.

ثم أردف مبتسما:

– لكني أجدني اليوم شاكرا لهذا المبدأ

قال إيفان بحذر:

– هل للأمر علاقة بفسخ كاثرين لخطوبتكما

أجابه ماركوس وهو يعبث ببعض اللفافات الموضوعة فوق مكتب إيفان:

– نوعا ما، نعم

تابع إيفان في نفس الحذر:

– لا تتوقع مني خيانة الإمبراطورة، أليس كذلك يا ماركوس

أجاب ماركوس بحزم وهو ينظر في عيني إيفان:

– لو كان أحد غيرك في مكانك الآن لكان سيفي قد أطاح برأسه

قال إيفان في غضب:

– كيف تجرؤ على تهديدي في مكتبي يا ماركوس

أجابه ماركوس في حدة:

– وكيف تجرؤ أنت على التلميح بخيانتي للإمبراطورة .

دخل في هذه الأثناء حراس إيفان وكل منهم يده على مقبض سيفه وقد أثارتهم حدة الحوار بين الوزير وقائد الجند، نظر إليهم ماركوس وقال:

– أظن أن لكم أسرا تنتظر عودتكم، فاخرجوا قبل أن أبعث بجثتكم إليهم

نظر الحراس للوزير الذي أشار لهم بالخروج قبل أن يجلس مشيرا لماركوس بالجلوس قائلا:

– يبدو أن كل لقاءاتنا يكتب لها أن تتم في أجواء مشحونة

جلس ماركوس وهو يقول:

– كلانا يهدف إلى خدمة الإمبراطورية يا إيفان، صحيح أن أساليبنا مختلفة لكن يجمعنا هدف واحد.

قال إيفان:

– لندخل صلب الموضوع يا إيفان، ما الأمر الملح الذي تريدني من أجله

صمت ماركوس للحظات قبل أن يجيب:

– تصرفات إريس تقلقني.

ضحك الوزير حتى بدا الحنق على ماركوس الذي قال:

– لا أظنني قلت دعابة مضحكة إلى هذا الحد

قال إيفان وهو يحاول كتم ضحكاته:

– عذرا يا ماركوس، لكن الغيرة عمياء فعلا، الإمبراطورة حسمت هذا الموضوع فعلا، فلماذا تصر على إبقاء العداوة معه

قال ماركوس والغضب باد على محياه:

– وهل أتيت إليك أشكو لوعتي وسهري يا إيفان

أجاب إيفان وقد انفجر ضاحكا رغم محاولته الجادة لكتم ضحكاته:

– اعذرني يا ماركوس، لكن هذا ما يبدو لي

أخد ماركوس نفسا عميقا في محاولة لإطفاء غضبه وقال في هدوء يحسد عليه:

– أيها الوزير، إريس لم يعد يشكل أي تهديد لي، لكنه أصبح يهددك أنت

توقفت ضحكات إيفان مرة واحدة، نظر إلى ماركوس وهو يحاول استيعاب ما قاله، لحظات مرت على إيفان وهو يدير عشرات الاحتمالات في فكره قبل أن يقول:

– وأي تهديد يضمره إريس لي؟ منصب الوزير ليس متاحا لأي أحد، كما أنني واثق أن كاثرين تثق بي فقد خدمت أباها بإخلاص وتابعت خدمتها بوفاء.

قال ماركوس وهو ينهض في إشارة لنهاية زيارته لماركوس:

– حسنا ما دمت واثقا هكذا اعتبر هذه الزيارة من أجل مد حبل الود بيننا وانس كل ما قلته لك.

– انتظر يا ماركوس

قالها إيفان وهو ينهض بدوره مردفا:

– ما الذي أوحى لك بهذا الأمر

ابتسم ماركوس في ظفر، فقد ابتلعت السمكة الطعم وما عليه الآن إلا أن يسحبها ببطء حتى يتمكن منها، جلس ماركوس وقال وهو يطرق بأنامله على سطح المكتب قائلا:

– سأخبرك يا صديقي، سأخبرك

– هون عليك يا إيفان، الأمر لا يستحق كل هذا الانفعال.

قالتها كاتالينا زوجة الوزير وهي مرعوبة من انفعاله، فمنذ ساعة وهو يروح

ويجيء أمامها وبين الفينة والأخرى يلقي بما يصادفه أمامه، توقف الوزير بعد سماعه عبارة كاتالينا الأخيرة ليستدير لها قائلا وهو يضغط الكلام بين أسنانه:

– بل يستحق هذا وأكثر يا كاتالينا، كيف كنت غافلا عن هذا الأمر

أجابت كاتالينا في حيرة:

– لم أفهم المشكلة في هذا الأمر يا إيفان، شاب أحب فتاة ولم تجر الأمور بينهما كما يشتهي فحول بوصلته لأخرى حتى يجبر الكسر الذي خلفه حبه الأول، لا أرى ما يثير الشك في الموضوع.

أشار لها إيفان بسبابته قائلا:

– ما قلته هو ما يثير الشك في الموضوع يا كاتالينا، ألم يجد ما يجبر كسره إلا عند أقرب الأقربين لحبيبته الأولى

قالت كاتالينا محاولة تخفيف التوتر عن زوجها:

– ربما، يبعث برسالة معينة لكاثرين

أجابها إيفان:

– ويغامر بإغضاب الإمبراطورة؟؟

نظرت له كاتالينا في عدم فهم فاستدرك قائلا:

– إريس طالب سلطة يا كاتالينا، بعد أن فشلت خطته في الزواج بالإمبراطورة ها هو الآن يحيك حباله حول وصيفتها وأقرب الناس إليها، كلنا نعلم أن صوفيا وأنطوان هما صندوق أسرار الإمبراطورة، خصوصا صوفيا، إريس لا يحاول التغرير بفتاة عادية بل بالشخص الثاني عمليا في ترتيب السلطة، كنت أخشى من طموح ماركوس، لكني الآن أمام تهديد جديد.

نهضت كاتالينا ونظرت له في أسى وهي تقول:
– لنذهب للنوم الآن، فأنت تحتاج لقسط من الراحة حتى تتمكن من التفكير بصفاء أكثر.
ثم نظرت لوصيفتها قائلة:
– أوجينيا، يمكنك الذهاب، إن احتجت لشيء آخر سأبلغك

كان إريس ممددا على مكتبه الجديد وهو يسخر من وظيفته المكتبية الجديدة التي أوكلتها له كاثرين عندما اقتحمت صوفيا عليه مكتبه دون استئذان، لم يبالي إريس بهذا الأمر بل قام مرحبا بها بحرارة وهو يقول:
– لكم يشرفني أن تكوني أول زائر لي في مكتبي يا صوفيا
ردت صوفيا:
– لم آت إليك زائرة يا إريس، بل جئتك محذرة ومهددة
قال إريس وهو يحاول معرفة سبب غضب صوفيا:
– لم كل هذا الغضب يا صوفيا؟ ما الذي قمت به؟
أجابت صوفيا في حدة:
– إن كنت تفكر لحظة واحدة أني سأسمح لك بأن تجعل مني سلما تصل به لمآربك فأنت مخطأ تماما يا إريس
جلس إريس وقد بدت عليه ملامح الحزن.
– أهكذا تظنين بي يا صوفيا؟
لم تجب صوفيا وإن بدا عليها بعض التوتر في نظراتها فأردف إريس قائلا:
– لقد جرحت مشاعري يا جميلة القصر، أنت تعلمين أن مكانتي لدى كاثرين – وحتى بعد قرارها الأخير – تخول لي الوصول لكل السلط، ولا

حاجة لي لسلم ولا لغيره
أطرقت صوفيا برأسها أرضا وهي تقر في قرارة نفسها بحقيقة ما يقوله إريس قبل أن تقول في توتر ملحوظ:
– لست وحدي من يقول هذا، بل كل الناس.
نظر لها في اهتمام وقال وهو ينهض عن كرسيه ويدر حول المكتب:
– من تقصدين بكل الناس؟ وما الذي يقولونه؟
أجابت وهي تدير وجهها:
– لا عليك، ليس بالأمر المهم.
رد إريس في حزم:
– بل هو مهم يا صوفيا، لن أسمح لأحد أن يتلاعب بنا، أخبرينا بما لديك
صمتت صوفيا لحظات تفكر هل تخبره أم لا في الوقت الذي كان فيه إريس يرمقها بنظرات تحثها على الكلام، فتنهدت وقالت وقد زاد توترها فبدا جليا في نبرات صوتها:
– ليكن، لقد وصلت إشاعات عن محاولاتك لإيقاعي في حبك إلى ماركوس ثم إلى الوزير إيفان.
اقترب إريس من صوفيا وانحنى عليها متسائلا في همس:
– إشاعات؟ حقا؟
تجاهلت صوفيا تلميحاته وهي تنكمش أكثر على نفسها وقالت:
– ماركوس أقنع إيفان أن هذه المحاولات تشكل تهديدا له.
قال إريس وقد استعاد جديته:
– أرأيت؟ الكلام لا يعدو مؤامرات سياسية سأتعامل معها في وقتها.
ردت صوفيا باستنكار:

– مؤامرات سياسية؟ هكذا تسميها؟

أجاب إريس:

– أجل وكلها أكاذيب

ثم نظر لصوفيا مبتسما وهو يقول:

– إلا مسألة محاولاتي لإيقاعك في حبي

تفاجأت صوفيا بجرأة إريس فألجم لسانها ولم تستطع الرد ليستطرد إريس:

– أعلم أن عقلك يرفض التصديق لكن قلبك يؤمن بحبي لك

قالها إريس وأحنى رأسه ليضع أذنه فوق قلب صوفيا مباشرة قائلا:

– أليس كذلك؟

شلت حركة إريس الأخيرة صوفيا التي أغمضت عينيها وقد انهارت آخر محاولاتها للمقاومة قائلة في نشوة:

– أنت كاذب يا إريس، لكنك عاشق رائع

كان الوضع قابلا للتطور أكثر لولا طرقات على الباب أعادت الاثنان لوعيهما، دخل الحارس فأشار له إريس ليتكلم فقال:

– مولاتي الإمبراطورة أرسلت من يستدعيك لقاعة العرش يا سيدي

أشار إريس للحارس بالانصراف قبل أن يوجه كلامه لصوفيا قائلا:

– فلتعذريني جميلة القصر، الواجب يناديني

إلا أن صوفيا نهضت قائلة:

– سأرافقك يا إريس، وأردفت وهي تغمز بعينها

– أيها العاشق الكاذب

دخلت صوفيا وإريس خلفها قاعة العرش، لم تكن كاثرين وحدها فقد كان

الوزير يجلس في مكانه المعتاد يرمق إريس بنظرات ريبة، كانت كاثرين أول المتكلمين فقالت:

– مرحبا بكما يبدو أنكما التقيتما بالباب

كادت صوفيا أن تأكد على كلام إمبراطوريتها لولا تدخل إريس الذي قال:

– بل جئنا معا من مكتبي، لقد كانت صوفيا تزورني عندما وصلني استدعاؤك لي

ابتسمت كاثرين لجواب إريس في الوقت الذي أشاح فيه إيفان بوجهه وهو يغلي غضبا أحسه كل من كان بالقاعة، أشارت كاثرين لإريس بالجلوس فيما أخذت صوفيا مكانها خلف كاثرين التي قالت موجهة كلامها لإريس:

– إيفان يطلب مني تحديد اختصاصاتك بدقة حتى لا تتقاطع مسؤولياتكما

أجاب إريس:

– الوزير إيفان رجل حكيم، ونعم الرأي ما رآه

زاد جواب إريس من غضب إيفان الذي رأى في هذا الجواب نقطة لصالح إريس فقال:

– بل الرأي رأي الإمبراطورة

قالت كاثرين:

– أحسنت القول يا إيفان، لهذا سأقولها للمرة الأخيرة، إريس مستشاري الخاص وله سلطة مطلقة على كل الدواوين

أحنى إيفان رأسه قائلا في طاعة:

– وأنا من جهتي سأقدم كل المساعدة الممكنة له في حال احتاجني

ثم نظر إلى إريس وأكمل في ابتسامة:
– إريس سيكون من اليوم مهمتي الأساسية.
ثم استدار بوجهه لكاثرين مردفا:
– إن لم يكن لمولاتي بي حاجة، فلتأذن لي بالانصراف
أشارت له كاثرين بالانصراف مع إيماءة من رأسها.
قال إريس بعد أن خرج إيفان:
– يبدو أن ماركوس قد أوجد لي عدوا جديدا ليلاعبني به يا مولاتي
أجابته كاثرين:
– لا تهتم لأحد ما دمت في خدمتي.
رد إريس والغضب باد عليه:
– لقد بدؤوا في نشر الإشاعات
ردت كاثرين وهي تنظر خلفها لصوفيا في ابتسامة ساخرة:
– تقصد حكايتكما أنت وصوفيا
ارتبكت صوفيا التي أسرعت بنفي الموضوع لكن كاثرين أسكتتها بإشارة من يدها وهي تقول:
– الحب شعور جميل يا صوفيا، لا تنكريه يا عزيزتي، ولا تظنين أني سأغضب لعلاقتك بإريس
ثم نظرت لإريس قائلة:
– علاقتي بإريس ماض انتهى، كما أن سعادتك شيء يهمني يا صوفيا فأنت وصيفتي المقربة وكاتمة أسراري.
ثم غمزت له قائلة:
– كما أنني أعلم أن الإشاعات صحيحة

أحس إريس أن الوقت حان ليقوم بحركته الأخيرة فأجاب:
– عندما ذكرت الإشاعات كنت أتحدث عن ادعاءهم بأني أحب صوفيا من أجل السلطة، أما حبي لها فهو صادق لا أستطيع تفسيره
تابع وهو يوجه نظره إلى صوفيا التي هربت بعينيها من نظراته:
– كل ما أستطيع قوله أنني أشعر وأنا بقربها برضا تام عن كل الماضي الذي أوصلني إليها
رغم الإحراج الشديد الذي كانت صوفيا تشعر به إلا أنها أحست بفخر شديد لجرأة إريس وهو يعترف بحبه لها أمام كاثرين، كاثرين الحبيبة السابقة والإمبراطورة التي أركعت كل رجال القصر الأقوياء، مرت لحظات من الصمت قطعته صوفيا قائلة:
– عذرا يا مولاتي، سأذهب للتأكد من جهوزية موكبك أعتقد أنك ما زلت تأملين في القيام بجولة رسمية في أرجاء المدينة
كانت محاولة من صوفيا للهروب من الموقف الحالي فهمتها كاثرين التي أذنت لها قائلة:
– على الرعية أن تتذكر بين الفينة والأخرى أن إمبراطورة قوية تحكمهم
خرجت صوفيا تحت أنظار إريس وكاثرين التي قالت:
– كانت حركة بارعة ما قمت به في الحديقة صباح الأمس يا إريس
لم يجب إريس سوى بنظرة خاوية لم تستشف منها كاثرين شيئا لتستطرد:
– لقد أصبحت صوفيا متعلقة بك يا إريس، وهذا الأمر يعجبني، لقد سعدت عندما شاهدتك تمارس حياتك الطبيعية، كنت أخشى أن يأثر حبك السابق على حسن إدراكك وتعاملك مع الأمور، لكنك أثبتت لي أنك نسخة طبق الأصل من جدك الأكبر.

هذه المرة أجاب إريس قائلا:

– سأكن الولاء لك ما حييت يا مولاتي، جسدك جسد حبيبتي وروحك روح مولاتي، اتحاد لم أكن أحلم به يوما.

قالت كاترين وهي تنهض عن كرسيها:

– هل ما أخبرتني في حضور صوفيا حقيقي يا إريس؟ هل تحبها فعلا؟

رد إريس وكأنه يكلم نفسه:

– لم أعد أؤمن بالحب يا مولاتي، لكني لا أنكر أني معجب بصوفيا، أريد امرأة في حياتي ولن أجد فتاة أفضل منها

– لتنسيك كاثرين؟

– لقد نسيتها بالفعل يا مولاتي

قالها إريس قبل أن يكمل في نفسه:

– لكني لم ولن أنساك

– مولاي القائد، رسول من الوزير إيفان يريد مقابلتك

قالها أحد حراس ماركوس ليجيبه هذا الأخير:

– دعه يدخل

دخل الرسول وانحنى أمام ماركوس قائلا:

– مولاي الوزير يطلبك لاجتماع عاجل أيها القائد.

نظر ماركوس للرسول لحظات قبل أن يجيب:

– وأين مقر الاجتماع

رد الرسول:

– الوزير يفضل الحضور لمكتبك

نهض ماركوس وهو يشير للرسول بالانصراف قائلا:
– بل ليأتي لبيتي ليلا، فأنا أدعوه لتناول العشاء
انحنى الرسول أمام ماركوس وغادر تحت أنظار الأخير الذي قال لأحد جنوده:
– ابعث أحدكم إلى ريبيكا وأخبرها أن تجهز وليمة تليق بي أنا – قائد الجند – وليعلمها أن الضيف هو الوزير إيفان. وإن احتاجت شيئا ليحضره لها.
رد الجندي وهو يشد قامته:
– أمرك مولاي

– مرحبا بالوزير في بيتي المتواضع
استقبل ماركوس إيفان بهذه العبارة ليجيبه الأخير بابتسامة:
– شكرا لك يا ماركوس.
ثم استدار ليحيي ريبيكا بإيماءة من رأسه قائلا:
– لقد اشتقت لطعام ريبيكا الجميلة
ردت ريبيكا على ابتسامته بابتسامة وهي تقول:
– شكرا لمجاملتك أيها الوزير، لقد سعدت عندما علمت بخبر تشريفكم لمنزل مولاي
قاطعها ماركوس قائلا:
– هو منزلك أيضا يا ريبيكا، لا تنسي هذا الأمر
ابتسمت ريبيكا في امتنان لماركوس وأشارت بيدها قائلة:
– هل أجهز الطعام فورا أم أنكما تفضلان السمر قليلا
أجابها ماركوس:

– لنرى رأي الوزير إيفان، فهو ضيفنا

رد إيفان بشكل مرح:

– بل لنتسامر على مائدة العشاء، فطعام الجميلة ريبيكا لا يصبر عليه

ضحك ماركوس وهو يقول:

– أراك تغازل وصيفتي في حضوري يا إيفان، ألا تخشى غيرتي

رد إيفان وهو يداعبه:

– أنت أعقل من هذا يا قائد الجند.

توجه الاثنان كل يداعب الأخر في محاولة منهما لتلطيف الأجواء المشحونة بينهما، كان الخدم يجهزون المائدة في الوقت الذي وقفت فيه ريبيكا تنظم عملهم قبل أن تصدر لهم الأوامر بالمغادرة.

– لقد اجتمعت بإريس والإمبراطورة هذا الصباح

قالها إيفان بدون مقدمات ليتوقف ماركوس لحظات عن المضع قبل أن يقول:

– وما سبب الاجتماع؟

أجاب إيفان:

– أردت التأكد من الشكوك التي زرعتها في عقلي يا ماركوس

لم تعجب ماركوس عبارة إيفان الأخيرة لكنه أسرها في نفسه قائلا:

– وهل تأكدت؟

أجاب إيفان:

– لهذا أردت رأيتك بدون إبطاء

مد ماركوس قدحه الفارغ لريبيكا لتملأه له وهو يقول:

– طموح إريس أصبح يهددك يا إيفان.

أجابه إيفان:
– بل أصبح يهدد الكل يا ماركوس بما فيهم أنت.
بدا التوتر يظهر على ماركوس وهو يقول:
– وأي تهديد يشكله إريس علي؟ حتى المنافسة على قلب كاثرين انتهت بيننا
أجاب إيفان:
– غدا صباحا سيصلنا جميعا قرار الإمبراطورة بتعيين إريس مراقبا عاما على كل الدواوين، هل تتخيل هذا يا ماركوس؟ إريس يراقب عمل قائد الجند وقد يوقفك يوما ما و..
قاطعه إريس غاضبا:
– لن أسمح لأمر كهذا بالحدوث يا إيفان، أنت تعلم ذلك ولهذا أتيت إلي
رد إيفان:
– تعرف ما علينا القيام به
صمت ماركوس لحظات وهو يلوك قطعة لحم بين أسنانه قبل أن يقول:
– أنت محق يا إيفان، غدا سيكون آخر أيام إريس.

توقف جنديان يقودهما آخر أعلى رتبة أمام غرفة إريس فشد الحارسان قامتيهما قبل أن يتوجه لهما الأعلى رتبة قائلا:
– لقد صدرت أوامر بنقلكما إلى حراسة الحدود الشمالية للمدينة، القرار يسري مفعوله فورا، ستجدون الأوامر قد سبقتكما إلى قائد المنطقة
دون أسئلة إضافية شد الحارسان قامتيهما في تحية عسكرية وغادرا المكان ليأخذ الجنديان الجديدان مكانهما، اقترب منهما قائدهما وقال في همس:

– لا حاجة لنا بمراجعة الخطة، سأمر عليكما صباحا.
قدما الجنديان التحية لقائدهما الذي استدار وغادر في رضا، لقد أنجز دوره من المهمة.
مرت قرابة الساعة عندما وصل إريس لغرفته فانتبه للوجوه الجديدة التي تحرسها، فبادرهم بالسؤال وهو يلهو بقلادته الجديدة:
– أين طاقم الحراسة الخاص بي؟
أجابه أحدهما:
– لقد افتعلا شجارا مع أحد حراس القصر وقد القي القبض على الجميع في انتظار مثولهم غدا أمام قائد الحرس الإمبراطوري.
قال إريس وهو يضغط على رأس الإبرة ليحس بوخزها:
– ولماذا لم يتم إخباري بهذا في حينه؟
أجاب نفس الجندي:
– مثل هذه الأمور تحدث كثيرا، لا حاجة لإزعاج السادة، هناك دائما جنود في الاحتياط لتعويض أي نقص
هز إريس رأسه وهم بدخول غرفته إلا أنه توقف وألقى بسؤال مباشر مفاجئ:
– هل أنتم من رجال ماركوس؟
رد الجندي دون أن تهتز شعرة من رأس أي منهما:
– لا يا سيدي.. ماركوس قائد الجند أما نحن فرجال لوكاس قائد الحرس الإمبراطوري.

توقفت الحركة في القصر في هذه الساعة المتأخرة من الليل حينما أشار

أحد الحارسين لصاحبه فتوجه الأخير لنهاية الممر ليتأكد من خلو المكان ثم أخرج سيفه من غمده وأسرع بالدخول لغرفة إريس دون أن يصدر صوتا، كان إريس نائما في سريره ملتحفا من شدة البرد، اقترب الحارس من إريس في بطء وحذر، كان يعرف أن إريس مبارز ماهر ومقاتل صنديد فإن ترك له الفرصة سيطيح برأسه قبل أن يدرك ما يحدث، أصبح الحارس بجوار فراش إريس، أمسك بقبضة سيفه بكلتا يديه، يجب أن يسدد أقوى ضرباته، هكذا فكر وهو ينزل بالسيف بشكل عمودي فوق صدر إريس، أصابت الضربة هدفها مباشرة وبدقة لتنتشر الدماء على ملاءات السرير البيضاء على صوت صرخة مكتومة لم يسمعها إلا الحارس الواقف على الباب الذي ابتسم في ظفر.

لقد تمت المهمة بنجاح..

# الفصل الثامن

قبل ساعات...

كانت الشمس ترسل أولى أشعتها إلى الأرض عندما تجاوزت ريبيكا بوابة القصر متوجهة لحديقته مباشرة، كانت الحديقة فارغة إلا من أحد البستانيين الذي إن كنا نملك ذاكرة قوية فسنجد أنه نفس البستاني الذي حضر لقاء إريس وصوفيا الحميمي الأول.

خرج ليتريض كعادته وبين لحظة وأخرى يتحسس قلادته، لم يكن قد أكمل تريضه عندما شاهد صوفيا تقطف بعض أزهار الحديقة فابتسم وهو يتذكر حلم الأمس،ضغط قلادته، هو لا يحلم، كانت الحديقة فارغة إلا منهما وأحد البستانيين الذي كان منهمكا في عمله بعيدا بمسافة كبيرة عنهما.

مرت لحظات قبل أن تظهر صوفيا متوجهة نحو ريبيكا التي انحنت تحييها قائلة:

– أعذريني لإزعاجي لك في هذا الوقت الباكر لكن اعتقد أن الأمر يستحق

ردت صوفيا في قلق:

– هذا ما استنتجته عندما وصلني خبر حضورك، ما الأمر يا ريبيكا

– حياة إريس في خطر.

قالتها ريبيكا وهي تلتفت حولها.

أجابت صوفيا في توتر ملحوظ:

– ما الذي تقصدينه يا ريبيكا؟ عن أي خطر تتحدثين؟

قالت ريبيكا وهي تنظر للبستاني وتقدر المسافة التي تفصله عنهما:
– مولاي ماركوس والوزير إيفان وضعا خطة لاغتيال إريس في فراشه.
شهقت صوفيا بطريقة جعلت البستاني يتوقف عن عمله ويرمقهما للحظات قبل أن يعود لشتلاته، تابعت ريبيكا:
– يجب أن أعود حتى لا ينتبه مولاي لغيابي
قالت صوفيا:
– والخطة.. ألا تعلمي تفاصيلها؟
أجابت ريبيكا:
– كلا، ولا أظن حتى الوزير يعرفها، لكني متأكدة من أن موعدها اليوم، ليلا على أبعد تقدير
فركت صوفيا كفيها في عصبية وهي تقول:
– حسنا يا ريبيكا.. شكرا لك، يمكنك الذهاب الآن
استدارت ريبيكا مغادرة تحت أنظار صوفيا التي لم تنتظر اختفاء ريبيكا عن عينيها لتنطلق نحو غرفة إريس، طرقت بابها ليأتيها صوت إريس من الداخل:
– لحظة أيها الحارس، سأخرج فورا
ردت صوفيا .
– إنها أنا يا إريس
مرت ثواني قليلة ليفتح إريس باب غرفته قائلا:
– صوفيا الجميلة، أية ريح طيبة أشفقت على حالي وأرسلتك إلي
أجابت صوفيا وحمرة الخجل تعلو وجنتها:
– ليس هذا وقت الغزل يا إريس

رد إريس وهو يغلق الباب خلف صوفيا:
– وهل هناك وقت أنسب من الوقت الذي أرى فيه عيناك يا جميلة القصر
قالت ريبيكا:
– أنا جادة يا إريس هناك أمر خطير علينا التعامل معه
بدت الجدية على ملامح إريس الذي قال:
– اجلسي يا صوفيا، يبدو أنني سأفوت تدريباتي الصباحية
جلست صوفيا وبقيت صامتة لحظات قبل أن تخونها رباطة جأشها وتبدأ في الارتعاش، استغرب إريس حالة صوفيا، فلدى صوفيا قدرة لا يستهان بها على السيطرة على نفسها ومشاعرها، فما الذي حصل حتى تنهار بهذا الشكل؟ أخذ إريس صوفيا بحضنه وقد احترم صمتها فلم يحاول استفسارها عن شيء حتى قالت بصوت مبحوح:
– يريدون أن يحرموني منك
قال إريس وهو يضم صوفيا إليه أكثر:
– هل أجبرتك كاثرين على الزواج من أحد
أجابت صوفيا:
– لا ولكن..
اختنقت الكلمات مع الدموع في حلق صوفيا التي انكمشت أكثر وهي تضع رأسها أسفل فك إريس، ليقبلها إريس من رأسها قائلا:
– فقط أخبريني الموضوع بتفاصيله.

سدد الحارس ضربته بقوة وبدقة ليخترق السيف هدفه الذي أوحت صلابته بأنه شيء آخر غير جسم بشري وهو أمر أدركه الحارس بخبرته

فحاول رفع الغطاء إلا أن سيفا كان الأسبق ليطيح برأسه قبل أن يستوعب ما يحدث، سقط جسد الحارس فوق السرير الذي تلوث بالدماء المنهمرة من عنق الحارس ليظهر إريس خلفه وهو يمسك بسيفه وينظر لجثة الحارس بشماتة قائلا:

– لقد تأخرت يا صديقي، انتظرتك كثيرا

أشعل إريس شمعة ولوح بها من نافذة غرفته، لحظات بعد ذلك وجد الحارس الواقف على الباب نفسه محاط بمجموعة من الجنود يقودهم أنطوان بنفسه، لم يفهم الحارس ما يحدث إلا عندما خرج عليه إريس ممسكا سيفه وهو يقطر دما، كان الموقف أبلغ من أي كلام فنزع الحارس حمالة السيف وألقى بها بين أرجل أنطوان الذي أشار لرجاله فتقدم منهم اثنان وضعا قيدا في يديه.

قال إريس لأنطوان وهو يراقب السجين يمشي نحو معتقله:

– نحن نعلم من أرسله لكن إن لم يتحدث فلن نستطيع إثبات شيء

أجاب أنطوان:

– وماذا عن شهادة ريبيكا؟

رد إريس:

– لا تساوي شيئا، فالكلام الذي سمعته من ماركوس والوزير كلام عائم من عينة نتخلص منه وآخر يوم له، تلك كلمات يمكن تفسيرها على كل الأوجه، أما هذا الحارس فسيكون حبل المشنقة الذي سيعلق ماركوس من رقبته

قال أنطوان وهو يربت على صدر إريس:

– لا تكن متفائلا هكذا، فالتخلص منه لن يكون بسهولة حتى لو ثبت

بالدليل القاطع أنه وراء محاولة اغتيالك، لكن على الأقل سيعرف أننا أصبحنا نعرف نواياه، وهذا سيجعله يفكر ألف مرة إذا أراد إيذاء أحدنا مرة أخرى.

هز إريس رأسه موافقا وهو يقول في قرارة نفسه:

– تصالح عدوان واتحدا معا للقضاء عليك يا إريس، عليك أم تكون أكثر حذرا

– بل أجزم قطعا أنهما ليسا من رجالي

قالها لوكاس بحدة موجها كلامه لأنطوان وهو يتابع:

– ولائي هو شرفي يا أنطوان، ما كنت لأخون الإمبراطورة وأتقاعس في حماية رجالها، أنت تعرفني جيدا يا أنطوان، لقد كنا معا في خدمة الإمبراطور الراحل.

أجابه أنطوان في تساؤل:

– وبماذا تفسر ما حدث؟

رد لوكاس بثقة:

– خيانة

نظر أنطوان للوكاس للحظات في صمت قبل أن يقول:

– هذا اختراق ستكون مسئولا عليه أمام الإمبراطورة، أما الآن فيجب أن نحل هذا اللغز، والبداية ستكون باستدعاء الحارسان الأصليان لغرفة إريس

أجابه لوكاس:

– هذا أول ما قمت به عندما وصلني خبر محاولة الاغتيال، لكن الحارسان مختفيان منذ ليلة أمس

قطب أنطوان جبينه وهو يقول:

– إذن فهما أيضا متورطان في هذه المؤامرة

قال لوكاس وهو يشير بأصبعه نافيا:

– لا أظن ذلك، لقد سجلا دخولهما للقصر ولو كانا كذلك لكان أسهل عليهما القيام بالمهمة بنفسهما، الغريب أيضا أنهما سجلا خروجهما ساعة قبل المحاولة الفاشلة.

– وماذا يعني هذا يا لوكاس

قالها أنطوان في تساؤل ليجيبه لوكاس:

– ليثني أعلم، حل هذا اللغز رهين بتكلم السجين أو العثور على الحارسين الأصليين..

و أخذ نفسا عميقا قبل أن يردف:

– حيين

في هذه الأثناء وغير بعيد عن القصر، كان الضابط الذي أحضر الحارسين المزيفين يقف أمام حفرة قد ألقى فيها رجاله جثتين، تقدم إليه رجل بلباس عسكري يبدو أكثر رتبة فقال له:

– أحسنت أيها الضابط، القائد ماركوس معجب بعملك

نظر الضابط للحفرة وقال:

– لقد كانا جنديين صالحين أيها القائد إمانويل

أومأ إمانويل برأسه موافقا وهو يقول:

– أنت أيضا جندي صالح

قالها وطعن الضابط طعنة مميتة أسقطته أرضا وهو يحاول الإمساك بساقي إمانويل قائلا بعينين جاحظتين:

– لماذا يا مولاي
أجابه إمانويل وهو يدفعه برجله إلى الحفرة مشيرا لجنود بردمها:
– تضحية لا بد منها من أجل المصلحة العامة

دخل أحد رجال ماركوس عليه مكتبه وهو يقول في توتر:
– سيدي لدي أخبار عاجلة
كان ماركوس ينتظر هذه الأخبار على أحر من الجمر لذلك فقد اعتدل في جلسته قائلا بنبرة حاول أن يجعلها هادئة قدر الإمكان:
– هات ما عندك أيها الجندي
أجاب الجندي:
– لقد تعرض السيد إريس لمحاولة اغتيال هذه الليلة
قال ماركوس في انفعال:
– محاولة؟ ما الذي تقصده بمحاولة
قال الجندي وهو يتلعثم:
– لقد حاول أحدهم قتل السيد إريس لكنه لم ينجح
اكفهر وجه ماركوس وبدا الغضب جليا على محياه وهو يقول:
– وإريس ما الذي حدث له؟
أجاب الجندي:
– السيد إريس سليما معافى، لقد قتل أحد مهاجميه وألقي القبض على الأخر
أشار له ماركوس بالخروج وهو يصرخ في الحارس الواقف خارجا:
– أيها الحارس، أرسل من يأتيني بالقائد إمانويل حالا

مرت دقائق قبل أن يدخل إمانويل مكتب ماركوس منتصبا وهو يقول:
– أمر مولاي
كان ماركوس يحاول جاهدا ضبط انفعالاته حتى لا تؤثر على قراراته، لهذا أخد وقتا غير يسير في التفكير قبل أن يرفع رأسه ناظرا لإمانويل وهو يقول:
– لقد فشلت المحاولة، نفد الخطة باء.

وصلت أخبار نجاة إريس من الاغتيال للوزير إيفان منذ الصباح الباكر، رغم الغضب الذي شعر به إلا أنه كان يرى نفسه بعيدا عن الشبهات لذلك لم يتوتر بل أخد يفكر في خطة بديلة تخلصه من هذا المتطلع للمناصب القيادية، كان قد أكمل خيوط خطته الجديدة عندما أتاه خبر وصول إمانويل فذهب لاستقباله.
– مرحبا بك يا إمانويل، لم أرك منذ جنازة الإمبراطور الراحل
قالها إيفان مرحبا بإمانويل الذي استدار ليواجهه قائلا:
– مرحبا أيها الوزير، أنت تعلم أن منصبي كمساعد أول لقائد الجند يأخذ مني كل وقتي
هز الوزير رأسه متفهما وهو يقول:
– لا بد وأن حضورك له صلة بمحاولة اغتيال إريس
أومأ إمانويل برأسه قائلا:
– هو ذاك أيها الوزير، مولاي ماركوس لا يريد تضييع الوقت وقد أمرني بتنفيذ الخطة باء
قال إيفان في حماس:

– لقد فكرت في كل تفاصيلها يا إمانويل، اجلس لأعرضها عليك

قاطعه إمانويل:

– الخطة باء جاهزة على التنفيذ أيها الوزير

أجابه إيفان في تذمر:

– مرة أخرى يضع ماركوس خطته دون استشارتي، ألم يستوعب بعد أننا في مركب واحد؟

ابتسم إمانويل:

– بلى أيها الوزير، ماركوس يدرك هذا جيدا، ولهذا التجأ إليك دون غيرك من حاشية القصر

رد إيفان ممتعضا:

– لماذا يتجاهلني إذن أثناء وضعه لخطط تهمني كما تهمه

زادت ابتسامة إمانويل وهو يقول:

– ماركوس يؤمن أن قلة العارفين بتفاصيل خطة ما تزيد من احتمالات نجاحها

أجاب إيفان بتهكم:

– كما نجحت خطة التخلص من إريس؟

تغيرت ملامح إمانويل الذي بدا جليا أنه غير راض عن تلميحات إيفان فاستدار ليعطي ظهره لإيفان قائلا:

– هذه المرة أنا متأكد من نجاح الخطة

تساءل إيفان:

– وما الذي يجعلك متأكدا لهذه الدرجة؟

قال إمانويل وهو يستل سيفه دون أن يلاحظه إيفان:

– لأنني أنا من سينفذها
ضربت واحدة كانت كافية لإمانويل للإطاحة برأس إيفان قبل أن يخرج من الغرفة ليقابل الخدم الذين بدوا وكأنهم ينتظرون خروجه، نظر إمانويل لهم وقال:
– هل شاهدتم أحدا يدخل اليوم لقصر الوزير؟
أجابه أحدهم:
– كلا يا مولاي
نظر له إمانويل في رضا وهو يقول:
– ومتى آخر مرة شاهدتموني فيها؟
أجاب آخر:
– منذ الاستعراض العسكري الذي أقيم أثناء تنصيب الإمبراطورة
ابتسم إمانويل في رضا وهو يقول مغادرا قصر الوزير إيفان:
– جيد جدا، تعرفون ما عليكم القيام به

وصل ماركوس لمبنى السجن فوجد إمانويل ينتظره، توجه ناحيته متسائلا:
– ما الأخبار؟
أجابه إمانويل وهو يشد قامته:
– كما أمرت تماما
هز ماركوس رأسه مبتسما وهو يقول:
– عد إلى مكتبك يا إمانويل ومارس عملك الطبيعي، يجب أن ندع الأمور تستقر قليلا
شد إمانويل قامته في تحية عسكرية وانصرف منفذا أوامر قائده الذي دخل

السجن لوضع آخر اللمسات في خطته.

كان أنطوان – الذي كلف من طرف كاثرين بالتحقيق في محاولة الاغتيال – في طريقه لزنزانة الحارس المزيف يرافقه إريس عندما التقيا ماركوس في أحد ممرات السجن، فبادره أنطوان قائلا:

– مرحبا ماركوس، اعذرنا فلن نستطيع التوقف للحديث معك فلدينا عمل مستعجل

أجاب ماركوس متجاهلا الجفاء الذي حدثه به أنطوان:

– أعلم أنكم تحققون مع أحد الخونة ولهذا أنا هنا

ثم نظر إلى إريس قائلا:

– بالمناسبة، نحمد الرب على سلامتك يا إريس

أومأ إريس لماركوس برأسه شاكرا في الوقت الذي قال له أنطوان:

– لا أظن أن الأمر يهمك يا ماركوس، فأنا مكلف من الإمبراطورة شخصيا

أجاب ماركوس وهو يحاول أن يظهر بمظهر المتعاون:

– كيف ذلك يا أنطوان، هنا إشاعة تقول بأنه أحد رجالي فإن صح ذلك فوجودي سيكون مهما لك

نظر أنطوان وإريس لبعضهما دون أن يتخذ أحدهما قرارا فقال ماركوس:

– أنا مصر على الحضور، ثقا بي، لن تندما

تنهد أنطوان وقال في نفاذ صبر:

– حسنا يا ماركوس، لكن إن كان لك تأثير سلبي على التحقيق فستصبح مشكلتي أنت يا ماركوس

بعد لحظات دخل الثلاثة زنزانة السجين ما إن رآه ماركوس حتى قال له:

– أنت؟

بدا الاهتمام على وجه إريس وأنطوان الذي قال:

– إذن فأنت تعرفه يا ماركوس

أجاب ماركوس والغضب باد على وجهه:

– أجل لقد كان أحد رجالي أو بالأحرى أحد رجال الخائن موريس، وتم الاستغناء عنه هو وبعض الرجال المقربين لموريس

تبادل إريس وأنطوان نظرات التعجب، فبقدر معرفتهم وتأكدهم من تورط ماركوس إلا أنهما لم يفهما ما يحدث أمامهما.

اقترب ماركوس من السجين فتحرك إنطوان ليقف بينهما قائلا:

– ماركوس.. أي تصرف غير محسوب سيكون له توابعه

أجابه ماركوس وهو يزيحه برفق:

– لا تخف، لن أقتله، أنا أيضا أريد الوصول للحقيقة مثلكما

نظر ماركوس في عيني السجين وقال له:

– هل تعرف من أكون؟

أومأ السجين برأسه فقال له ماركوس:

– إذن أنت تعرف ما الذي أنا قادر على فعله، فإن كنت تهتم لأمر أسرتك فأجب على الأسئلة التي ستطرح عليك

كانت هذه هي كلمة السر المتفق عليها بين ماركوس وبين منفذي المحاولة، تراجع ماركوس للوراء وقال لأنطوان:

– هو لك

تواجه أنطوان مع السجين وسأله:

– من الذي أرسلك؟

أغمض السجين عينيه وقال:
– الوزير إيفان

– الوزير إيفان
قالها الحاجب وهو ينحني أمام الإمبراطورة التي قالت:
– دعه يدخل
ارتبك الحاجب فخرج صوته مبحوحا:
– لقد قتل الوزير في قصره
خيم الصمت لحظات على قاعة العرش قبل أن تشير الإمبراطورة للحاجب بالمغادرة قائلة:
– أرسل في طلب أنطوان
ثم استدارت لصوفيا المندهشة من الخبر قائلة:
– ما رأيك يا صوفيا؟
أجابت صوفيا:
– يجب أن تضعي حدا لهذا يا مولاتي، فالأمور أصبحت تخرج عن السيطرة
ردت عليها كاثرين وهي تداعب خصلات شعرها:
– على العكس يا صوفيا، دعيهم مشغولين ببعضهم البعض، ودعينا نتسلى قليلا، فأنا أعشق الفوضى، لا أحد يسيطر على الفوضى مثلما أفعل
لم تفهم صوفيا ما تعنيه كاثرين، إلا أنها لم تملك إلا أن تلتزم الصمت بالنظر للثقة التي تتحدث بها الإمبراطورة.
لم يمر وقت طويل حتى دخل الحاجب يستأذن لأنطوان فأذنت له كاثرين.
دخل أنطوان منتصب القامة كعادته فبادرته كاثرين قائلة:

– لقد حضرت أبكر مما توقعت يا أنطوان

أجاب أنطوان وهو يشد قامته:

– لقد كنت فعلا في الطريق إليك عندما قابلت رسولك يا مولاتي

نهضت الإمبراطورة من مكانها وتوجهت لمنتصف القاعة قائلة:

– اجلس يا أنطوان، أين إريس؟

جلس أنطوان وهو يقول:

– تركته في قصر الوزير إيفان يتابع التحقيقات. لقد كان خبر مقتل الوزير مفاجئة غير متوقعة إطلاقا. ماركوس دائما يسبقنا بخطوة

استدارت كاثرين مواجهة لأنطوان وهي تقول:

– هل تعتقد أن لماركوس علاقة بمقتل الوزير؟

– بل أنا متأكد يا مولاتي من تورطه، صحيح أن كل المؤشرات تقول أنها عملية سرقة لكن هذا لن يخدعني، لا بد وأن القاتل تلاعب بمكان الجريمة حتى تظهر كأنها عملية اقتحام من أجل السرقة، فالنافذة مكسورة من الخارج وكل الأشياء القيمة التي كان يلبسها القتيل أو كانت في الغرفة المتواجد فيها مفقودة.

ضحكت كاثرين لدرجة استفزت كلا من صوفيا وأنطوان قبل أن تقول:

– يعجبني هذا الماركوس، لا عجب أن أبي رقاه بسرعة بل وأراده زوجا لي.

قالت صوفيا في حذر:

– هل تفكرين في الارتباط به مرة أخرى

ابتسمت كاثرين في سخرية قائلة:

– لقد قلتها سابقا وسأقولها مرة أخرى، لا يوجد تحت السماء من هو أهل للزواج بي

ثم استدارت لصوفيا قائلة:

– يبدو أنك لا زلت تجهلين الكثير عني يا وصيفتي المقربة

قالت صوفيا في نفسها:

– بل يبدو لي أنني لم أعرفك يوما

تدخل أنطوان ليعيد الحديث لمجراه الأول قائلا:

– بموت إيفان لم يعد هناك ما يربط ماركوس بالأمر

قالت صوفيا موجهة كلامها لأنطوان:

– والسجين ألا تستطيع إجباره على الكلام؟

أجاب أنطوان وهو يهز رأسه في أسف:

– روايته محبوكة بدقة، فهو يدعي أن إيفان اتصل به وأغراه بالمال من أجل القيام بالعملية وأقنعه بأن إريس هو السبب في تسريحه من عمله.

قاطعته صوفيا قائلة:

– وماذا عن الشخص الذي أدخلهما إلى القصر

رد أنطوان:

– لقد توصلنا إليه، هو ضابط حديث الانضمام بالحرس الإمبراطوري، لكنه اختفى أيضا منذ ليلة الاعتداء

توجهت كاثرين إلى كرسي العرش لتجلس عليه بشموخ قائلة وكأنها تراجع سجل الأحداث:

– نعلم أن ماركوس وراء كل هذه العمليات، ومع ذلك لم نستطع إثبات شيء عليه، رجل كهذا يستحق منصبه

ثم اعتدلت في جلستها قائلة:

– لقد اتخذت قراري، أوقف التحقيقات في هذه القضية يا أنطوان، أريد

جنازة تليق بوزيري وبعدها ليستدعي الجميع للقصر
قالت صوفيا:
– وهل سيبقى منصب الوزير شاغرا؟
أجابت كاثرين وقد فهمت ما ترمي إليه صوفيا:
– سأعين شخصا جديدا بعد اجتماع الغد مباشرة
ثم غمزت لصوفيا قائلة:
– أخبري حبيب القلب أنه الأحق بالمنصب.

عاد ماركوس لمنزله في غير موعده المعتاد، طبعا لم تكن ريبيكا في انتظاره فدخل غرفة نومه مباشرة بعد أن أصدر أوامره لكبير الخدم بعدم ازعاجه.
مرت لحظات قبل أن تطرق ريبيكا باب الغرفة وتدخل قائلة بقلق:
– مولاي ماركوس، ليس من عادتك العودة في هذا الوقت، أرجو أن لا يكون هناك أمر خطير يشغل بالك
تنهد ماركوس في أسى وهو يقول:
– بل هو ذاك يا ريبيكا
زاد القلق لدى ريبيكا التي قالت:
– ما الأمر يا مولاي، لم يسبق لي أن رأيتك هكذا من قبل
أجابها ماركوس وهو يضع وجهه بين كفيه:
– هناك نقطة لا يمكن التحمل بعدها يا ريبيكا. فالقوي له نقطة ينهار بعدها والشجاع له نقطة يجبن بعدها
ثم نظر إليها وعينيه يحملان حزنا عميقا وقال:
– وماركوس له نقطة يحزن بعدها

ضمته ريبيكا بين ذراعيها وقد سالت دمعة من عينها وهي تقول:
– ليتني أستطيع فعل شيء يخفف عنك يا مولاي
نهض ماركوس وريبيكا ما تزال ملتصقة به قبلها من جبينها وقال:
– في الواقع هناك فعلا ما يمكنك فعله
رفعت رأسها لتنظر إلى عينيه مباشرة وهي تقول:
– أؤمرني إذن وسأقدم روحي لك طواعية
جحظت عيناها وهي تشعر بألم رهيب في بطنها، نظرت إلى موضع الألم لتجد يد ماركوس تمسك خنجرا قد اخترق بطنها وسمعته يقول والحزن باد في نبراته:
– لا أعلم إن كانت روحك ستخفف عني ما أحس به من ألم خيانتك لي يا ريبيكا، لكنها دون شك ستكون عبرة لمن يفكر في خيانة ماركوس بعد اليوم
لم يتحمل جسد ريبيكا الرقيق طعنة الخنجر كثيرا فانهارت قواها لتسقط جثة هامدة بين أقدام ماركوس الذي انهار بدوره على ركبتيه وقد نزلت دموع قلما تذوقتها شفتيه، أمسك برأس ريبيكا وحضنها كأم تحضن طفلها الذي غاب عنها سنين، أبعد رأسها قليلا لينظر إليها، ثم قال وهو يمرر سبابته على شفتيها:
– أي شيطان أنت يا إريس، أقسم أنك ستدفع ثمن هذا غاليا

قبل ساعة
دخل إمانويل على ماركوس مكتبه وهو يقول:
– مولاي، لدي أخبار سيئة

أصدر ماركوس بشفتيه صوتا يدل على التذمر الشديد وهو يقول:
– ألن تنتهي الأخبار السيئة؟
بقي إمانويل صامتا فأشار له ماركوس قائلا:
– هات ما عندك
أجاب إمانويل بسرعة وكأنه ينتظر فقط الأمر:
– نجاة إريس لم تكن صدفة، لقد كانوا في انتظار رجالنا
شدت هذه الجملة انتباه ماركوس الذي قال في غضب مكتوم:
– هل أنت واثق مما تقول يا إمانويل؟
رد إمانويل:
– تمام الثقة يا مولاي
نهض ماركوس ووقف يتأمل إحدى اللوحات المعلقة في مكتبه قبل أن يقول دون أن يستدير:
– هل تعلم ما يعنيه هذا يا إمانويل؟
أجاب إمانويل في حذر:
– أجل يا مولاي، هناك خائن بيننا
استدار ماركوس ناحيته بحدة قبل أن يتمالك نفسه بعدما انتبه إلى أن هذا هو ما فكر به بنفسه فقال:
– ومن يكون؟ لا أحد يعلم بتفاصيل المهمة إلا أنا والراحل إيفان وأنت، حتى الجنود الذين تم اختيارهم لتنفيذ العملية لم يعلموا بها إلا لحظات قبل تنفيذها
صمت إمانويل لكن ماركوس لاحظ أنه يختلس النظر إليه فقال له:
– هل هناك ما تود قوله يا إمانويل؟

تردد إمانويل في الحديث مما دفع ماركوس بالصراخ في وجهه قائلا:
– إمانويل، لا تغضبني وهات ما عندك
تشجع إمانويل وأخد نفسا عميقا قبل أن يقول:
– لقد أثار انتباهي في تقارير اليوم أن ريبيكا التقت بصوفيا صباح العملية
أجاب ماركوس وهو يحاول أن يقنع نفسه أن ريبيكا ليست الخائن الذي يتحدث عنه إمانويل:
– وما الغريب في الأمر؟ ريبيكا وصوفيا صديقتان منذ أن كانا طفلتين ضمن جواري الإمبراطور الراحل
قال إمانويل وهو يحاول فتح عيني ماركوس:
– في الصباح الباكر؟ من يزور صديقه في هذا الوقت إلا لأمر ملح، ثم في يوم تنفيذ الخطة
صرخ ماركوس غير مصدق لما يسمع:
– غير كاف يا إمانويل، لا يمكنك اتهام ريبيكا لمجرد شكوك في نفسك
قال إمانويل في جرأة فاجأت ماركوس:
– أفق يا مولاي، في داخلك أنت تعلم أني على صواب، لقد كنت دوما قدوتي، دائما ما قلت لي أن من تحكمه المشاعر يسقط أسرع
أمسك ماركوس برأسه لحظات قبل أن يقول:
– كل ما أريده هو دليل أقوى يا إمانويل
ألقى إمانويل بالتقارير على مكتب ماركوس قائلا:
– اقرأ التقارير بنفسك يا مولاي، ملامح صوفيا أثناء حديثها مع ريبيكا تدل على أن ما سمعته منها قد أفزعها
ثم شد قامته بتحية عسكرية مردفا:

– سأتركك لتراجع الموقف جيدا، وأنا على ثقة بأنك ستتخذ القرار الصائب كما عودتنا دائما

خرج إمانويل تحت أنظار ماركوس الذي التفت بعينيه إلى التقارير يرمقهم للحظات قبل أن يمد يده إليهم.

عليه أن يصفي ذهنه جيدا قبل تحليل الموقف من جديد، فما يدور في ذهنه حاليا سيكون له تبعات مأثرة فيما بعد.

دخلت كاثرين قاعة العرش تتبعها صوفيا ليسكت كل من فيها، وفقت لحظات تدير عينيها في وجوه الحضور، كانت كل الحاشية حاضرة يتقدمهم إريس على يمين العرش وماركوس على شماله، توجهت كاثرين مباشرة لكرسي العرش لتجلس عليه شامخة كعادتها بينما اتخذت صوفيا مكانها المعتاد خلف الكرسي، كان ماركوس أول المتكلمين فقال:

– فلتسمح لي مولاتي أن أقدم لها التعازي في وفاة الوزير إيفان باسم كل الحاضرين

أجابت كاثرين وهي تشير للحضور بالجلوس:

– شكرا لك يا ماركوس، شكرا لكم جميعا، إيفان كان من أخلص رجال أبي وقد استمر في خدمتي بنفس الإخلاص، لكنها طبيعة البشر، لا بد لهم من نهاية

قال إريس وهو يوجه الحديث لماركوس:

– تعازي إليك يا ماركوس، فرغم أنكما لم تكونا تستلطفا بعضكما كثيرا إلا أن معلوماتي تقول أنكم تقاربتم في الأفكار مؤخرا، من المؤسف أنه لم تتح لكما الفرصة للتعاون أكثر

فهم ماركوس ما يرمي إليه إريس لكنه كان قد قرر تلطيف الأجواء حتى تتضح له الأمور أكثر فقال:

– فعلا يا إريس، لكن لم يكن الموضوع شخصيا، كل ذلك كان من أجل الإمبراطورية، كل منا خدمها بطريقته وكان يرى أنه الأصوب، لقد فهمنا هذا متأخرين، أرجو أن تدرك أنت ذلك أيضا

هز إريس رأسه في سخرية وهو يقول:

– لا أظن أن أخذ الأرواح البريئة طريقة صائبة لخدمة الإمبراطورية

قال ماركوس وقد بدا التوتر في نبرات صوته:

– هذا إن كانت بريئة

حاول إريس الرد لكن كاثرين أوقفته بإشارة من يدها وهي تقول:

– سيكون لديكم وقت طويل لمناقشة طرق خدمتي وخدمة الإمبراطورية، أما الآن فقد جمعتكم لأمران أولهما إعلان الوزير الجديد الذي سيخلف إيفان

تدخل ماركوس في محاولة له لاستغلال الموقف وتلطيف الأجواء بينه وبين إريس فقال:

– إذا سمحت لي الإمبراطورة فأنا أود أن أقول رأيي في هذا الموضوع

أجابت كاثرين:

– لقد حسمت فعلا في الأمر لكن لا بأس بسماع رأيك يا قائد الجند

رد ماركوس وهو يعلم جيدا أن إريس الأوفر حظا لتولي هذا المنصب:

– صحيح أن إريس هو أحدثنا انضماما للحاشية لكني أرى أن مهاراته وإمكانياته وخصوصا وفائه وإخلاصه لك يؤهلونه للمنصب بجدارة. ومن ناحيتي فإني أعدك أني سأتعاون مع من تختارينه سواء كان إريس كما آمل

أو غيره
كانت حركة بارعة من ماركوس رغم أنها مكشوفة وهو ما جعل كاثرين تقول ضاحكة:
– لم تخيب ظني فيك يا ماركوس، فطنتك وذكاءك هما ما يجعلاني أتغاضى عن بعض تصرفاتك يا ماركوس
حاول ماركوس الرد لكن كاثرين أوقفته قائلة:
– وهذا هو الأمر الثاني الذي أردتكم من أجله، لكن سنناقشه ثلاثتنا فحسب، أنا وأنت وإريس
ثم توجهت بكلامها للبقية:
– لقد اخترت إريس وزيري الجديد، هل لدى أحدكم اعتراضا؟
نظر بعضهم لبعض بحثا عن معارض للقرار فقالت كاثرين:
– إذن أعلن إريس وزيرا، فليبق الوزير وقائد الجند أما البقية فيمكنها الانصراف
انتظرت كاثرين إلى أن فرغت الغرفة فتوجهت لماركوس تلومه قائلة بحدة:
– ألم أحذرك من التصرف دون الرجوع إلي يا ماركوس
أجاب ماركوس:
– وهذا ما أفعله يا مولاتي
نهضت كاثرين وهي تقول:
– وقتل ريبيكا؟
توتر ماركوس وأطلت من عينيه لمست حزن وهو يقول:
هذا أمر لا يتعلق بالإمبراطورية بل أمر شخصي يا مولاتي، ريبيكا من أقرب الناس إلي، قتلها لم يكن سهلا علي لكن...

قاطعته كاثرين قائلة:

– ما دام الأمر مثل ما تقول، فلم قتلتها؟

رد ماركوس والأسى يخنق صوته:

– البيوت أسرار يا مولاتي، أريد أن تبقى ذكراها طيبة

كانت كاثرين تعلم يقينا سبب إقدام ماركوس على قتل رييبكا لكنها احترمت رغبة ماركوس فهي تتفهم موقفه تماما ولو كانت مكانه لقامت بنفس الفعل، عادت كاثرين لكرسيها هي تقول:

– ماركوس، أنا معجبة بك، معجبة بمهاراتك وفطنتك وأدائك، لكن أحذرك، لا تختبر صبري أكثر من هذا

كانت نظرات ماركوس تفضح الحزن الذي في داخله حتى أن إريس أشفق عليه فقال:

– أظن يا مولاتي أن ماركوس فهم تماما ما تعنيه، ولا بد أنه استخلص العبر مما جرى

اعتدلت كاثرين في جلستها وهي ترفع يدها لصوفيا الواقفة خلفها، وضعت صوفيا لفافة ورق في يد كاثرين التي مدت اللفافة لإريس قائلة:

– هذا قرار تعيينك يا إريس، سيرافقك أنطوان لقصر الراحل إيفان، انقل كل ما له علاقة بعمله إلى جناحك في القصر

ثم أشارت للاثنين بالمغادرة قائلة:

– فليبدأ عهد جديد من الازدهار تحت حكمي.

لم تكد صوفيا تخطو أولى خطواتها في حديقة القصر حتى وجدت إريس متكئا على جدع إحدى الأشجار ينظر إليها مبتسما، ابتسمت رغما

عنها وتوجهت نحوه قائلة:

– الوزير إريس.. الوزير إريس.. لساني لم يستسغ بعد هذا اللقب

ضغط إريس قلادته ليشعر بوخزها ثم أجاب وهو يجلس على العشب ويضرب الأرض براحة يده طالبا منها الجلوس بجانبه:

– ما رأيك بالعاشق الكاذب؟

جلست صوفيا بجانبه مبتسمة وأخذت تلهو ببعض الأعشاب وحمرة الخجل بادية على محياها، مرت لحظات من الصمت قبل أن يقطعها إريس الذي أمسك صوفيا من كتفيها برفق قائلا:

– هل تتزوجينني يا صوفيا؟

لم يكن صمت صوفيا من النوع الذي يدل على الرضا رغم الارتعاش الذي حل بجسدها فأحسه إريس الذي قربها إليه أكثر وهو يهمس في أذنها:

– أنا أحبك يا صوفيا، وأعلم أنك تكنين لي نفس الشعور

أغمضت صوفيا عيناها دون أن تنطق بكلمة وهي تحس فأنفاس إريس تداعب عنقها ليكمل إريس قائلا:

– لماذا أنت مترددة هكذا يا حبيبتي؟

ارتعش قلب صوفيا لدى سماعها لكلمة حبيبتي تخرج هامسة من بين شفتي إريس فأجابت دون أن تفتح عينيها:

– أخشى من حبك السابق للإمبراطورة

قال إريس وهو يدير صوفيا لتواجهه:

– أنظري إلي يا صوفيا، افتحي عينيك وانظري إلي

فتحت صوفيا عيناها لتنظر مباشرة في عيني إريس الذي قال:

– كاثرين التي أحبها رحلت دون عودة، أنت الآن الوحيدة التي تسكن

قلبي
أجابت صوفيا وهي تهرب بعينيها من نظراته:
– هذا ما أخشاه فعلا يا إريس، أنت لم تنزع حب كاثرين من قلبك، لو عادت كاثرين إلى سابق عهدها فسيعود قلبها ليدق لها ثانية
صمت إريس لحظات، فما قالته صوفيا أصاب كبد الحقيقة، لكنه واثق أيضا أنه فقد كاثرين للأبد، أخذ نفسا عميقا ثم قال وهو يسرح بعينيه بين أشجار حديقة القصر:
– إن أنكرت ما تقولين فلن أكون جديرا بك يا صوفيا، لكن ما أعلمه جيدا أن الماضي لن يؤثر على علاقتنا
ردت صوفيا بنبرة حزينة:
– لا تكن واثقا هكذا، قد لا تبالي كاثرين بعلاقتنا الآن لكن تقدمنا في هذه العلاقة أكثر سيثير غيرتها، أنا لا أريد أن أخسرها فهي أكثر من إمبراطورة بالنسبة لي.
أجاب إريس في نفاذ صبر:
– بل أنا واثق يا صوفيا، كاثرين الحبيبة قصة انتهت وابتدأت قصة كاثرين الحاكمة
هزت صوفيا برأسها غير مقتنعة بكلام إريس وقالت:
– لقد كنت الحب الأول لكاثرين يا إريس، كاثرين لن تنساك
ابتسم إريس واقترب يهمس بأذن صوفيا:
– هل هذا هو سبب رفضك لي؟ أنني الحب الأول لكاثرين
أجابت صوفيا وهي تنكمش على نفسها وكأنها تحاول منع همسات إريس من الوصول لوجدانها:

– لا يهمني إن أحببت قبلي ولا من أحببت ولا حتى من أحبتك قبلي، لكني لا أريد لبواقي هذا الحب أن يكسر قلبي يوما، أنا أعرف كاثرين أكثر من أي شخص آخر، رغم أنني لا أعرف ما الذي غيرها ناحيتك ولا أظنها السلطة كما تدعي، إلا أنني أعلم أن مشاعرها ستنتصر يوما ما، وعندها لا أريد أن أكون ضحية حبكما

قال إريس وهو يمرر أصابعه على شعر صوفيا الساقط خلف ظهرها:

– أنت تعرفين كاثرين السابقة، لكن صدقيني، كاثرين التي بيننا الآن لن تكن مشاعرا لا لي ولا لغيري، فلا تجعلي منها عقبة في طريق حبنا

أطرقت صوفيا برأسها صامتة قبل أن تشعر بأنفاس إريس تلفح عنقها وهو يقول:

– لم تجيبيني بعد يا صوفيا

نظرت صوفيا إليه متسائلة فأردف قائلا:

– هل تتزوجينني؟

# الفصل التاسع

إريس يطلب الإذن بالدخول يا مولاتي

قالها الحاجب فقامت صوفيا ووقفت خلف كاثرين التي أشارت إليه بيدها ليسمح له بالدخول، لحظات بعد ذلك دخل إريس قائلا:

– صباح الخير مولاتي

أشارت له كاثرين بالجلوس وهي تقول:

– لم نعد نرك كثيرا منذ انتقلت لقصرك يا إريس

ثم استدارت لصوفيا قائلة:

– دعينا لحظات يا صوفيا، أريد إريس في موضوع خاص

بدا الامتعاض على وجه صوفيا التي دبت الغيرة في قلبها وهو ما أحسته كاثرين التي ابتسمت في سخرية وهي تراقب صوفيا حتى غادرت قاعة العرش فاستدارت لإريس وهي تقول ضاحكة:

– يبدو أن زوجتك لم تنس بعد حبنا القديم

ابتسم إريس قائلا:

– تلك مشاعر طبيعية لدا كل البشر

مطت كاثرين شفتيها وهي تقول:

– دعنا من هذه المشاعر التي لم أفهمها يوما ولنتحدث في الأمور المهمة

رد إريس:

– أنا طوع أمرك يا مولاتي، لقد حضرت مباشرة بعدما وصلني أمر استدعائك لي

قالت كاثرين وهي تداعب خصلات شعرها:

– كيف حال مرضك يا إريس؟
أطرق إريس برأسه وهو يتذكر ذاك الصداع الذي كان يشعر به بين الفينة والأخرى، حتى ذاك اليوم المشؤوم عندما اشتد به الصداع لدرجة لا تحتمل حتى كاد قلبه يتوقف من شدة شعوره بالألم لولا تدخل كاثرين التي خلصته من محنته.
أيقظته كاثرين من ذكرياته وهي تقول:
– مرضك لا علاج له يا إريس، صحيح أني منعت عنك الشعور بالألم لكن الخلايا الخبيثة تتكاثر في جسمك بسرعة ولن تمهلك كثيرا يا إريس
رفع إريس رأسه وقال بنبرة حزينة:
– أعلم هذا يا مولاي
انتفضت كاثرين في وجه إريس وهي تقول بغضب:
– ما دمت تعرف ذلك فلماذا لم تنجب طفلا بعد يا إريس؟
أطرق إريس برأسه في عجز فقالت كاثرين بعد أن استعادت هدوءها:
– أريد طفلا من نسلك يا إريس، أخبرتك هذا الأمر مرارا وتكرارا
رد إريس دون أن يرفع رأسه:
– وما الذي تريدين مني فعله يا مولاتي؟
قالت كاثرين بنبرة تجمع بين السخرية والغضب:
– هل تريدني أن أعلمك كيف تنجب الأطفال يا إريس؟
بقي إريس صامتا ينظر للأرض في أسى، مرت ثواني لم يسمع فيها في قاعة العرش سوى طرقات أصابع كاثرين على مسند كرسي العرش، قامت كاثرين وتوجهت نحو منتصف القاعة ويديها خلف ظهرها، توقفت صامتة لحظات قبل أن تقول:

– لقد مر عامان على زواجكما يا إريس، صوفيا لن تهبك الوريث الذي نريد

رفع إريس رأسه وقال في شبه استعطاف:

– هناك ملايين البشر يا مولاتي، لا بد وأن هناك من هو مؤهل لخدمتك

استدارت كاترين تحوه قائلة بلهجة صارمة:

– هذا صحيح يا إريس، لم ولن أكون يوما مرتبطة بشخص بعينه

قال إريس في لهفة وأمل:

– اسمحي لي إذن أن أنهي حياتي في أحضان صوفيا، اعتبريها مكافئة لخدمتي وخدمة أجدادي لك

ضحكة كاثرين بشدة وهي تقول:

– تريد أن تسير رغباتي على هواك يا إريس؟

أجاب إريس في ارتباك:

– عفوا يا مولاتي، لم أقصد أبدا ذلك

اقتربت كاثرين بوجهها من وجه إريس قائلة وهي تضغط أسنانها في غضب:

– انتهى الأمر يا إريس، أريد طفلا من نسلك، لا يهم ممن

نظر لها إريس بدهشة وهو يتمتم:

– أخون صوفيا؟

أجابت كاثرين وهي تنتصب قائمة:

– ومن ذكر شيئا عن الخيانة؟

ثم عادت إلى كرسيها واستوت عليه وهي تقول مشيرة إليه بالمغادرة:

– سأرسل جاريتين إلى قصرك الليلة يا إريس، هما هديتي لوزيري المخلص

أطرق إريس برأسه وهو يفهم تماما ما تعنيه، تنهد ثم قال:
– شكرا لك يا مولاتي
خرج إريس تحت أنظار كاثرين التي أوقفته عند وصوله الباب قائلة:
– أريد أخبارا جيدة بعد شهر من الآن
أخد إريس نفسا عميقا ثم أكمل طريقه خارجا من قاعة العرش ليجد صوفيا واقفة تفرك يديها وتهز رجلها بتوتر فابتسم وتوجه إليها فبادرته بالسؤال:
– ماذا كانت تريد منك؟
ضحك إريس محاولا إخفاء حزنه وهو يهمس لها:
– تعجبني غيرتك علي
قالت صوفيا بغضب طفولي:
– لا تغير الموضوع، ماذا أرادت منك؟ فليس من عادتها أن تخرجني لتتحدث إلى أحد
ابتسم إريس وهو يزيد من استفزازها:
– وهل أنا أي أحد؟ أنا الوزير إريس، أم أن لسانك لم يستسغ بعد هذا اللقب ومازلت تفضلين العاشق الكاذب؟
ابتسمت صوفيا رغم غضبها وقالت وهي تحاول إخفاء ابتسامتها:
– أنت تعرف أنني لن أتركك قبل أن تجيبني
تنهد إريس وهو يقول:
– لا شيء مهم يا صوفيا، لقد أعربت لي الإمبراطورة عن رضاها بعملي وقررت تخصيص هدية لي
قالت صوفيا غير مصدقة:

– تخرجني من القاعة فقط لتعرب عن رضاها بعملك، هل تظنني غبية يا إريس؟

ابتسم إريس وهو يقول:

– عفوا يا حبيبتي، فلا أحد ينافسك في رجاحة العقل، لكن الإمبراطورة رأت أن هديتها قد تسبب لنا الإحراج فطلبت مغادرتك

أطل التساؤل والتعجب من عيني صوفيا وهي تقول:

– وأي هدية هذه التي ستسبب الإحراج؟

أشاح إريس بوجهه وهو يقول:

– جاريتان من وصيفات الإمبراطورة

تحول التعجب إلى غضب خرج كبركان من الكلمات من فم صوفيا وهي تقول:

– جاريتان؟ ومن أخبرها أننا بحاجة لهما؟ ألا يكفينا كل الخدم الذي يملأ القصر؟ أم أن الهدية كانت على هواك؟ لا بد وأنك مللت من جسدي، قلها فقط، تريد أكثر؟ هيا، سأشتري لك بنفسي عشر جواري؟ هل تعتقد أنني سأغضب؟ ومن أنت حتى أغضب من أجله؟

كان إريس يتوقع هذه الثورة من صوفيا لذلك تركها تفرغ انفعالاتها حتى هدأت، فطوقها بيديه وهو يقول:

– هل أنهت حبيبتي ثورة غضبها؟

انسلت صوفيا من بين يديه غاضبة وهي تقول:

– لا تلمسني، انتظر جاريتا الإمبراطورة وخذ منهما ما تشاء

حضنها إريس من الخلف وهو يقول:

– كل نساء الدنيا لن يستطعن منحي ما تمنحيني إياه يا حبيبة القلب

أسندت صوفيا رأسها على صدر إريس وهي تقول دامعة:
– لماذا إذن قبلت هدية كاثرين؟
أجابها إريس وهو يقبل رأسها:
– أعملي عقلك يا حبيبتي، من يجرؤ على رفض هدايا الإمبراطورة؟
ردت صوفيا:
– جد طريقة!
ربت إريس عليها قائلا:
– سأفعل يا حبيبتي، سنفكر في هذا معا مساء، أما الآن فاستأذني من الإمبراطورة ولنعد معا للقصر
هزت صوفيا برأسها وهي تمسح دموعها وتحاول منع أخرى من النزول، ثم أقفلت عائدة لقاعة العرش فأوقفها إريس قائلا:
– حبيبتي، أرجوك أن تثقي بي، لا ترتكبي أية حماقة
أومأت له برأسها أن اطمئن ودخلت القاعة تحت أنظار إريس الذي قال بصوت غير مسموع:
– لن أقوم بشيء قد يدمي قلبك يا صوفيا، يكفي ما سأسببه لك بسبب موتي

كان إريس مستلقي على أريكة في بهو قصره عندما دخلت عليه إحدى الجاريتان التي أرسلتهما له كاثرين منذ أسبوع، تفاجأ إريس بدخول الجارية التي كانت تلبس لباسا جريئا مثيرا كأنها عروس قد تزينت لزوجها يوم عرسها، تفاجُؤ إريس لم يكن بسبب لباس الجارية فقط، لكنه كان اتفق مع صوفيا على أن الجاريتان ستكونان في خدمتها ولن تسمح لهما بالانفراد

به مهما تطلب الأمر حتى يجد حلا لهما لا يغضب كاثرين، وقد كانت غيرة صوفيا حافزا كافيا لها، فكيف تترك إحداهما تغيب عن نظرها بل تجد الوقت الكافي لتغيير ثيابها والتسلل إليه دون أن تنتبه لها.

راودت هذه الأفكار إريس وهو يعدل جلسته قائلا في غضب:

– كيف تتجرئين على الدخول علي دون إذن، وأين هي زوجتي

أجابت الجارية وهي تقترب من إريس في دلال:

– لقد أرسلت لها مولاتي الإمبراطورة رسولا يأخذها إليها بشكل عاجل

ثم انحنت على إريس وهو تقول:

– لقد كانت حركة ذكية منها، خصوصا بعدما أخبرتها أنني سأكون الليلة في أوج خصوبتي

دفعها إريس عنه برفق وهو يقول متلعثما:

– أنا لست في مزاج جيد لما تريدين

أحاطته الجارية بذراعيها من الخلف وهي تهمس له:

– لا يهم، فقط استلقي وأنا سأقوم بكل شيء

نزع إريس يديها بقوة وهو يقول:

– لا أريد أن أكون فظا لكني فعلا غير راغب فيك ولا في غيرك الآن

قالت وقد تغيرت لهجتها لتصير أكثر صرامة:

– الإمبراطورة تريدنا أن ننجب منك، وأنت تصعب الأمر علينا كثيرا

ثم مالت عليه وقد استرجعت غنجها وهي تقول:

– دقائق فقط يا مولاي وأعدك أن صوفيا لن تعلم بشيء، سنغادر كلانا قصرك فور انتهاء مهمتنا فيه

هذه المرة لم يستطع إريس تمالك نفسه فدفعها عنه بقوة وقسوة وهو يصرخ

فيها:
– يكفي أن أعلم أنا أنني قد خنت زوجتي في آخر أيامي، لن أفعل ذلك حتى لو كانت حياتي ثمنا لهذا
كانت الجارية قد وقعت أرضا جرّاء دفع إريس لها فقالت غاضبة وهي تحاول النهوض وعينها مركزة على إريس:
– أيها الغبي، هل تظن أن حياتك أنت هي التي ستكون ثمنا لعصيانك
كان على إريس الوزير أن يغضب من جارية تنعته بالغبي وتهدده، لكن تحول لون عينها للأحمر للحظات قبل أن يعود لطبيعته جعله يقف مبهوتا أمامها قبل أن يبدأ عقله في استيعاب الأمر، فحرك يده في اتجاه قلادته يتحسسها لكنه لم يجد ما يبحث عنه.
– مستحيل.. أنا لا أنزع قلادتي أبدا حتى عندما أذهب للنوم، أنا أحلم لا محالة
هكذا فكر إريس قبل أن تجيبه الجارية بصوت كاثرين:
– هذا صحيح أيها العاصي، هل تعتقد أن سنوات خدمتك لي ستشفع لك عندي أيها الغبي، تتجرأ على عصيان أوامري؟ كنت أكذب كل شكوكي نحوك، راهنت على إخلاصك ووفائك، لم أكن أظن أنك ستخنني يوما ما
ركع إريس على ركبته وأحنى رأسه وهو يقول:
– لم أخنك يوما ما يا مولاتي، حتى جسد كاثرين قدمته لك رغم عشقي الشديد لها، كل ما أطلبه الآن هو الموت بين أحضان صوفيا، لا تجعليني أكسر قلبها، أتوسل لك يا مولاتي
استدارت كاثرين التي كانت ما تزال متجسدة في شكل الجارية مغادرة

وكأنها تطفو فوق الأرض وهي تقول بغضب:
– يبدو أن موت صوفيا هو الوحيد الكفيل بإعادتك إلى رشدك يا تابعي
ثم استدارت إليه وهي تردف:
– ستدفع صوفيا ثمن حماقاتك يا إريس، عش ما بقي لك من عمر مع هذا الذنب!
صرخ إريس متوسلا لها:
– كلا يا مولاتي، إلا صوفيا، عاقبيني أنا، لا تفجعيني فيها
كانت أرجل إريس كالمشلولة لا يتحكم بها مما زاد من إحساسه بالعجز وهو يراقب كاثرين تبتعد، فاستجمع كل طاقته في صرخة كانت كفيلة بإيقاظه من حلمه، مرت ثواني قبل أن يستوعب مكان تواجده، نظر يمينه، كانت صوفيا تنام في براءة.
القلادة في عنقه.
أحس بوخز رأس الإبرة لسبابته فمرر يده على شعرها فتململت دون أن تفتح عينيها، قبلها من جبينها ليلمح ابتسامتها على الضوء الباهت للقنديل الوحيد المشتعل داخل الغرفة فقال:
– آسف حبيبتي لأني قد أيقظتك
تمطت صوفيا وهي تدفع إريس بأرجلها فضحك إريس وهو ينهض قائلا:
– يبدو أنني غير مرغوب به في فراشك يا وصيفة الإمبراطورة، سأغادره إذن
أمسكت صوفيا بإريس وأعادته بجانبها ثم أحاطته بذراعيها قائلة:
– هذا صحيح، لكن لا يسمح لك بالمغادرة دون إذن مسبق
رغم ابتسامة إريس إلا أن نظرة الحزن التي في عينيه لم تخفى على صوفيا التي نفضت عنها النعاس وقالت في قلق:

– ما الأمر يا حبيبي؟ واضح أن هناك ما يشغلك
صمت إريس لحظات ثم قال دون أن يفتح عينيه:
– هل تثقين بي يا صوفيا؟
تفاجأت صوفيا بسؤال إريس فقالت وقد تزايد قلقها:
– بعد سنتين من الزواج تسألني هذا السؤال
استدار إريس ناحيتها ووضع يده على خدها قائلا:
– فقط أجيبيني يا حبيبتي
أغمضت صوفيا عينيها وهي تحاصر يد إريس بين خدها وكتفها ثم قالت:
– ما كنت لأتزوجك لو شككت بك لحظة
مرر إريس إبهامه على حاجبها وهو يقول:
– حتى لو طلبت منك أن نرحل من هنا فورا؟
أجابت صوفيا وقد تحول قلقها إلى انزعاج:
– إلى الجحيم حتى، فقط أخبرني السبب، هل تشك في اضطراب أو انقلاب ما؟
نهض إريس ملقيا ملاءة السرير وهو يقول:
– سأخبرك يا حبيبتي كل شيء بالتفاصيل، لكن الآن يجب علينا أن نرحل قبل حلول الفجر، اجمعي ما تقدرين عليه من الأشياء المهمة، ولا تحملي همّاً لما لا تستطيعين حمله، سأشتري لك غيره فيما بعد
قالت صوفيا وهي تنهض بدورها رغم عدم استيعابها لما يحدث:
– وهل سنخرج في هذا الوقت بسهولة؟
قال إريس وهو مستمر في توضيب أمتعته:
– ومن يجرؤ على منع الوزير إريس

ثم أكمل في نفسه:
– إلا إن كانت كاثرين قد تحركت بالفعل.
مرت بضع دقائق عندما كان إريس وصوفيا خارج القصر فتوقف إريس وقال لصوفيا وهو يحمل عصابة سوداء في يديه:
– أعلم أن ما سأطلبه منه غريب يا حبيبتي لكن يجب أن أغمض عينيك إلى أن نصل لوجهتنا
أجابت صوفيا باستنكار:
– لقد بالغت كثيرا يا إريس، ما الحكمة في ما تفعله؟
رد إريس وهو مدرك لغرابة ما يطلبه:
– أنا أعذرك يا صوفيا، لكن صدقيني سلامتك تعتمد على عدم معرفتك بمكاننا الجديد
نظرت صوفيا حولها في استسلام في الوقت الذي أردف فيه إريس وهو يشاهد أولى خيوط الفجر:
– من الآن وإلى أن أجد حلا لما نحن فيه فستكون معرفتك على قدر الحاجة

– يمكنك نزع العصابة يا حبيبتي
طرقت الجملة أذن صوفيا الغارقة في الظلام فسارعت لنزع العصابة بعصبية وهي تقول:
– ألن تخبرني سبب ما يحدث؟ ولم هذه الاحتياطات الغريبة؟
– سأخبرك يا حبيبتي عندما يحين الوقت؟
قالها إريس وهو يمسح بيديه على وجهه، إلا أن صوفيا لم يعجبها جوابه

فانتفضت في وجهه قائلة بعصبية:
– بل أخبرني الآن! لقد سايرتك لأني أثق فيك، لكن لا تختبر صبري! ستخبرني كل شيء الآن
وضع إريس رأسه بين كفيه وأطرق يفكر، لماذا لم أستطع تنفيذ أوامر كاثرين؟ كان يمكنني فعلها دون أن تعلم صوفيا، فما لا تعلمه لم يحصل بالنسبة لك، لكنه يعلم، ولن يستطيع النظر في عينها إذا خانها ولو مجبرا، ما الذي سيفعله الآن؟ صوفيا استحملته إلى الآن وهو لا يضمن بقائها خلفه أكثر دون أن تفهم ما يجري حولها، في نفس الوقت إذا أخبرها بالحقائق فستعتبره مجنونا وحتى إذا صدقته فإخباره لها بسر أنغرا ماينيو فسيكون خيانة مصيرها الموت، له لأنه أفشى سرها ولصوفيا لأنها علمت سرا لا يجب أن يعرفه أحد، لم يعد يهتم بنفسه فالموت الآن أفضل له من انتظاره، كاثرين أو أنغرا ماينيو تعرف هذا لهذا لا تهدده بالقتل، لكنه يهتم بمصير صوفيا، لن يكون سببا في إيذائها، وهو أمر تدركه كاثرين أيضا وستعمل على استغلاله لتحصل منه على ما تريد، كيف سأنفذ من هذه المتاهة؟ أيقظته صوفيا من أفكاره وهي تقول:
– مممم..... هل سنبقى هكذا طوال اليوم؟ تحدث أو سأعود للقصر
رفع إريس نظره إليها وقال:
– هل تعدينني إذا أخبرتك أن لا تسأليني شيئا بعدها وأن تفعلي ما أقوله لك
أجابت صوفيا وهي تجلس بجانبه:
– أعدك بشرطين أن تخبرني الحقيقة بأدق تفاصيلها وأن أقتنع بخطورة الوضع

أخذ إريس نفسا عميقا ثم ضم صوفيا إلى صدره وهو يقول:
– هل تذكرين يوم ذهبت كاثرين لزيارتي عند مجرى النهر؟
أجابت صوفيا وهي تستعيد ذكرياتها:
– عندما تغيرت كاثرين الأميرة إلى كاثرين الإمبراطورة
نظر لها إريس مطولا ثم تنهد قائلا:
– كل شيء بدأ يومها
– هل حضرت بمفردك؟
قالها إريس وهو يحتضن كاثرين في رقة فأجابته:
– لقد صحبتني صوفيا حتى أصبحت على مرمى بصرنا ثم أمرتها بالعودة، لقد رفضت أن تتركني وحدي لكني أصررت على عودتها متحججة ببعض الأعمال الغير مكتملة التي كنت قد أوكلتها إياها
ثم أضافت بابتسامة وحمرة الخجل تكسو وجنتها:
– كما أنني أردت هذه اللحظة لنا فقط، أردت أن أحياها كإنسانة لا كحاكمة تراقب تصرفاتها
أجابها إريس:
– حسنا فعلت يا مولاتي، لكن الوقت ليس في صالحنا، وعلينا التصرف سريعا
– وما الذي تقترحه يا إريس؟
– لنعلن خطبتنا اليوم، ستكون حركة مفاجئة لماركوس الذي يعتقدني ميتا
أجابت كاثرين وهي تنظر لموضع قدميها:
– كم أتمنى هذا يا إريس، لكني أخشى من رد فعل ماركوس، لا أريد أية اضطرابات في الإمبراطورية خصوصا مع بداية حكمي

أمسك إريس بيد كاثرين وضمها إلى صدره وهو يقول:
– ماركوس مجرد طالب سلطة، لا أظنه يريد الزواج بك لأنه يحبك، إن منحته سلطات ومزايا إضافية فسيقتنع بالتخلي عن فكرة الزواج بك
قالت كاثرين وهي تنظر لإريس:
– هل تظن ذلك؟
رد إريس:
– بل أنا واثق مما أقول
سحبت كاثرين يدها برفق من بين يدي إريس وقالت:
– حسنا يا إريس، سأفعل ما تقوله، لكن عليك زيارتي في القصر، هناك اجتماع لي مع القادة أريدك قبله حتى نضع آخر اللمسات قبل مواجهتك لماركوس، إلى لقاء قريب يا إريس
– إلى اللقاء يا مولاتي
قالها إريس وهو يراقب بحب كاثرين تقفل عائدة أدراجها.

كانت كاثرين مستلقية في مخدعها عندما سمعت طرقات على الباب فقالت في لامبالاة:
– ماذا هناك أيها الحارس؟
جاءها صوت أنطوان من الخارج:
– إنه أنا يا مولاتي
ارتدت كاثرين معطفها الإمبراطوري وهي تقول:
– ادخل يا أنطوان
دخل أنطوان وانحنى في تحية عسكرية وهو يقول:

– لست وحدي يا مولاتي، معي قائد الجند وقائد الحرس الإمبراطوري، نريدك في أمر مهم يا مولاتي

نظرت له كاثرين في استغراب وقالت:

– الآن؟ في هذا الوقت؟ لما لم يطلبا اجتماعا رسميا؟

أجاب أنطوان:

– الأمر ملح يا مولاتي، يجب أن تأذني لهم بالدخول

ازداد استغراب كاثرين وهي تقول:

– ومنذ متى أستقبل أحدا غيرك وصوفيا في مخدعي؟

رد أنطوان:

– الأمر ملح كما أخبرتك

نفخت كاثرين الهواء من بين شفتيها في ضيق وقالت:

– ليكن، ليدخلا!

انحنى أنطوان أمام كاثرين ثم اعتدل قائما وهو ينادي بصوت مرتفع:

– ليدخل القائدان

دخل ماركوس ولوكاس وقدما التحية العسكرية لكاثرين التي قالت:

– ترى ما الأمر الذي لا يمكنه الانتظار أيها القائدان؟

قال أنطوان وهو يشير لماركوس ة لوكاس:

– الأمر لا يعنيهما هما فقط بل يعنيني أنا أيضا

شعرت كاثرين باختلاف كبير في نبرة حديث أنطوان عما اعتادته منه فقالت في قلق:

– وما هو هذا الأمر الذي يعنيك أنت أيضا يا...؟

و أكملت بسخرية:

– يا حارسي الشخصي؟
أجاب أنطوان:
– نعلم أنك تحبين إريس وتريدين الزواج به
تلعثمت كاثرين وهي تقول:
– وعلى فرض صحة ما تقول، ماذا يهمكم أنتم في الأمر
تكلم ماركوس لأول مرة منذ دخل على كاترين وقال بنبرة ساخرة:
– ماذا يهمنا؟ تهمنا مناصبنا التي قدمنا تضحيات كبيرة وسنين من أعمارنا لنصل إليها، تهمنا مشاريع بآلاف آلاف العملات الذهبية التي تتأثر بتصرفات حاكم الإمبراطورية، يهمنا أن لا يأتي طفل في العشرينات من عمره ويحصل على الجائزة الكبرى لنقف ونصفق له.
نظرت لهم كاثرين التي بدأت تحس بالرعب مما تسمع في مخدعها وقالت:
– ما الذي تريدونه؟
أجاب لوكاس بهدوء:
– زواجك بإريس يجب ألا يتم

– لا أصدق ما أسمع
قالتها صوفيا وهي تهز رأسها بشدة ثم أكملت:
– ثم إن ماركوس كان في هذا الوقت يظنك ميتا، فكيف يطلب منها عدم الزواج بك
قال إريس وقد انتبه لهذه الثغرة في روايته الجديدة للأحداث:
– لم يكن ماركوس من طلب منها ذلك بل لوكاس
ردت صوفيا:

– هم الآن شخص واحد، لا بد وأنهم اتفقوا على قرار واحد معا قبل أن يقابلوا كاثرين، لا، هناك أمر غير مفهوم بالأمر

قال إريس وهو يفكر في كيفية تكييف الأحداث لتصبح أكثر منطقية:

– صوفيا، صوفيا، حبيبتي، صحيح أن ماركوس كان يعتقد موتي لكن أنطوان ولوكاس لا يعلمان عن الأمر شيئا

– أنطوان أيضا كان يظنك ميتا، هل نسيت أنه من أخبرنا بالأمر؟

قالتها صوفيا وهي تنظر لإريس مشككة في روايته فقال إريس وقد أحس أن صوفيا ضيقت الخناق عليه أكثر:

– إذن لا بد وأن اللقاء كان بعد الاجتماع الذي ظهرت فيه مرة أخرى

قالت صوفيا وهي تنظر له وقد نفذ صبرها:

– في ذلك الاجتماع كانت كاثرين قد قررت العزوبية والتفرغ للحكم، فلماذا يطلبون منها شيئا قد قامت به أصلا

نظر لها إريس وهو يقول في نفسه:

– أ هذا جزائي لأنني أحببت امرأة ذكية؟

لكن إريس لم يكن أقل منها ذكاءا فقال محاولا التخلص من مأزقه:

– ذلك كان اتفاقا بيني وبين كاثرين لصرف نظر ماركوس عنا حتى تهدأ الأمور، لكن يبدو أن لعبتنا كانت مكشوفة لهم

أشارت له صوفيا بسبابتها قائلة:

– أليس هذا مناقضا لما اتفقت عليه مع كاثرين عند مجرى النهر بإعلان زواجكما؟

تمتم إريس:

– أجل لكن كما أخبرتك كان هناك لقاء بيننا لوضع آخر اللمسات،

وفيه قررنا تأجيل الأمر
صمتت صوفيا لحظات وكأنها تبحث عن ثغرات أخرى ثم قالت:
– الأمور أصبحت أكثر منطقية الآن، لكن رغم ذلك ما زلت لا أستطيع تصديق ما أسمع
قال إريس محاولا إنهاء هذا التحقيق الذي كاد يكشف حيلته:
– ولا أنا صدقت هذا عندما سمعته أول مرة
قالت صوفيا فجأة:
– صحيح يا إريس، كيف لم تخبرني بهذا الأمر طيلة هذه المدة؟
أجاب إريس:
– لم أعلم به إلا منذ يومين، كان علي التأكد قبل إخبار أي شخص آخر فالمتورطون في الأمر نافذون جدا في دواليب الإمبراطورية
أطرقت صوفيا رأسها قليلا محاولة استيعاب الأمر فبادرها إريس هاربا بها من تدقيقاتها قائلا:
– اسمعي القصة للآخر، ألم تعودي راغبة في معرفة كل التفاصيل؟
أومأت له برأسها أن أكمل فأكمل إريس.

صدمت الجملة التي قالها لوكاس قائد الحرس الإمبراطوري كاثرين فتراجعت في جلستها وهي تنقل بصرها بين الثلاثة قبل أن تستجمع بعضا من شجاعتها وقالت:
– وماذا لو رفضت طلبكم؟
قال ماركوس بحزم:
– سيموت إريس

و أكمل لوكاس:
– أنت أيضا لن تكوني في م.....
قاطعه أنطوان بإشارة صارمة من يده ثم أقترب من كاثرين وقال بنبرته الحنون التي طالما حدثها بها:
– مولاتي الإمبراطورة، ألم يخبرك والدك الراحل أن المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة؟
لم تستطع كاثرين أن تجيب سؤال أنطوان لأنها في قرارة نفسها تؤمن بهذا المبدأ فأكمل أنطوان:
– مولاتي الإمبراطورة، نحن لا نريد أي تغييرات في الحكم، ستبقين أنت الإمبراطورة أمام الرعية، أنت من ستأمرين وأنت من ستنهين، سيسمح لك حتى بالصراخ فينا نحن الثلاث حتى تبقى صورتك كإمبراطورة قوية لدى الشعب، لكن نحن من سنكون دائما خلف الستار، لن تقدمي أو تأخري شيئا إلا بإذننا، أرجوك أن توافقي يا مولاتي، من أجل صالح الجميع
قالت كاثرين في ضعف:
– وماذا لو لم أوافق؟
نظر لها أنطوان بغضب ثم قام وتوجه ناحية الجدار المقابل في الوقت الذي أشاح به ماركوس بوجهه لينظر بعيدا، أما لوكاس فقد استل خنجرا من تحت إزاره وتقدم نحوها وهو يلعب به قائلا:
– ما زال ماركوس وأنطوان يكنان لك مشاعر الحب، لهذا فقد تركا هذه المهمة لي
تراجعت كاثرين في رعب وهي تصرخ تارة باسم ماركوس وتارة أخرى باسم أنطوان لكنهما استمرا في وضعهما غير عابئين بصراخها قبل أن يعيد

لوكاس خنجره لمكانه وهو يقول:
– لا تخافي يا مولاتي، لن أقتلك، ليس الآن على الأقل، فكما أخبرك أنطوان فنحن لا نريد بلبلة سياسية تأثر بالسلب على مصالحنا، لكن كوني واثقة أننا لن نتردد في التخلص منك إن أحسسنا بعدم تعاونك معنا، لديك من الذكاء ما يخول لك تقييم موقفك الحالي، الجند تحت سيطرة ماركوس والحرس الإمبراطوري تحت سيطرتي ورجال حراستك الخاصة تحت سيطرة أنطوان، هممممم، ما قرارك؟.
أطرقت كاثرين برأسها مفكرة قبل أن تقول:
– إن لم أتزوج إريس فلن أتزوج غيره
التفت لوكاس وأنطوان لماركوس الذي قال بامتعاض:
– موافق ما دمنا سنحقق مبتغانا
قالت كاترين:
– هناك شيء آخر
ثم شدت قامتها وهي تقول:
– إريس سيتقلد منصب مستشاري الشخصي
حاول ماركوس الاعتراض لولا تدخل لوكاس الذي قال:
– إذا وعدتنا بتدجينه فلا مانع لنا، لكن إن لم تتمكني من السيطرة عليه فليس له إلا السيف

كانت صوفيا تنظر للا شيء وفمها نصف مفتوح من غرابة ما تسمع، لاحت ابتسامة رضى من إريس الذي أحس أن صوفيا بدأت تقتنع بروايته، لكن ابتسامته تلاشت عندما قالت:

– في محاولة اغتيالك الذي دبرها ماركوس والوزير السابق إيفان، ألم يكن لأنطوان دورا فعالا في نجاتك

قال إريس وهو يفهم ما تعنيه صوفيا:

– اتحاد القادة الثلاث في وجهي لا يعني أنهم على وفاق طول الوقت، لا بد وأن أنطوان كان يرى في تواجد منافس محتمل لماركوس على مسرح الأحداث ضمان للسيطرة عليه

قالت صوفيا:

– لكن إلى الآن لم أفهم سبب هروبك بي وإخفائي هنا

زفر إريس بشدة وقال:

– المصدر الذي أخبرني بهذه المعلومات وجد مقتولا وقد ألقيت جثته على باب قصرنا

فتحت صوفيا فمها في دهشة وهي تقول:

– متى؟ وكيف لم أعلم بالأمر؟ وما دخل مقتله بتواجدنا هنا؟

قال إريس وهو يحاول إيقاف أسئلة صوفيا المتتابعة:

– وجده أحد الحرس ليلة البارحة، كانت رسالة واضحة من أحد القادة أو ربما منهم جميعا، لا أستطيع أن أأتمن أحدا عليك، فهم يسيطرون على كل الجند والحرس، لذلك أريدك أن تبقي هنا يوما أو يومين على الأكثر، وأهم شيء أن لا تفتحي الباب ولا النوافذ، عديني أنك لن تنظري خارج هذا البيت يا حبيبتي

تساءلت صوفيا في استغراب:

– عدت إلى الألغاز مرة أخرى؟

أجاب إريس:

– ساعديني يا حبيبتي، كل ما أطلبه هو أن تعتكفي في هذا البيت يومين لا أكثر

تنهدت صوفيا في ضيق وهي تقول:

– لا أستطيع تصديق هذه الرواية، لكني أثق بك يا حبيبي، حتى لو كنت تكذب فلا بد وأن الأمر يستحق أن تكذب من أجله

قال إريس وهو يقبل صوفيا من راحة يدها:

– هل أتركك وأنا مطمئن يا قلبي؟

أجابت صوفيا بحب:

– سأقوم بما تطلبه يا حبيبي، فقط عد إلي سالما

قبلها إريس من جبينها ثم توجه خارجا قبل أن توقفه قائلة:

– من كان مصدرك يا إريس؟

قال إريس مكملا طريقه دون أن يستدير:

– عفوا يا حبيبتي، لا أستطيع إجابتك على هذا السؤال

هذه المرة كان إريس صادقا في جوابه، فهو لا يستطيع أن يجيبها على هذا السؤال لأنه سؤال لا إجابة له.

داخل قاعة العرش كان لوكاس يقف مطأطأ الرأس يستمع لتأنيب كاثرين الغاضبة.

– كيف يختفي وزيري ووصيفتي دون أن يتركا أثرا؟

قالتها كاثرين وهي تروح وتجيء بعصبية، لم يتجرأ لوكاس على الحديث فتابعت:

– هذا إهمال لن أمرره دون عقاب، أين عيونك يا لوكاس؟ كيف استطاع

إريس مراوغة رجالك؟ يبدو أن سنك بدأ يؤثر على أدائك يا لوكاس
قال لوكاس وهو يحاول تبرئة نفسه ورجاله:
– لقد كان تحت أنظار رجالي إلى أن دخل أحد المنازل
قاطعته كاثرين غاضبة:
– أعرف أنكم فقدتموه في منزل موريس، لكن كيف؟
أجاب لوكاس والتوتر باد في نبرته:
– يبدو أنه كان يعلم بمراقبتنا له
ردت كاثرين بسخرية:
– ومن منا لا يعلم أنه تحت أنظار رجالك يا قائد الحرس الإمبراطوري؟
أجاب لوكاس وهو ينظر للأرض:
– لقد كانت مراقبة روتينية يا مولاتي، لم نكن نعلم أن إريس يحاول الاختفاء هو وصوفيا، فلا سبب مقنع يدعوهما لهذا، لهذا فقد انتظر رجالي خروجهما، وحينما أبطئا عليهم تسلل أحد الرجال للمنزل ليكتشف أنهما غادراه من النافذة المطلة على الحديقة الخلفية.
استمرت ثورة الغضب لدى كاثرين التي قالت وهي تنظر للوكاس:
– أنت محاط بأغبياء يا لوكاس، كيف لرجالك أن لا يشكوا بإريس وقد وضع عصابة على أعين صوفيا كما أخبروك، هل هذا أمر اعتادوا رؤيته؟
قال لوكاس وهو محرج:
– لقد ظنوا أنها لعبة بين زوجين أو أن إريس يحضر مفاجئة لصوفيا
ردت كاثرين ساخرة:
– لقد كان يحضر مفاجئة فعلا، لكن لرجالك وليس لزوجته
لم يرد لوكاس وإن كان الاضطراب باد عليه جراء شعوره بالإهانة أمام

الإمبراطورة التي قالت وقد استعادت هدوئها بشكل أدهش لوكاس:
– هل بلغت هذه الأخبار لماركوس؟
أجاب لوكاس:
– أجل يا مولاتي، وقد أرسل تعليمات لرجاله المرابطين في مداخل المدينة بتشديد المراقبة وأخبرهم أن الوزير إريس أصبح مطلوبا
جلست كاثرين على كرسي العرش وقالت:
– أريد إريس حيا يا لوكاس، أبلغ ماركوس بهذا
ثم أضافت وهي تضغط الكلام بين أسنانها:
– حتى لو قاومكم، لو حدث له مكروه فسأعلقكما بباب القصر
أحس لوكاس بالقشعريرة وهو يقول:
– اطمئني يا مولاتي، سأحرص على هذا الأمر بنفسي
شد لوكاس قامته لتحية الإمبراطورة وخرج تحت أنظار كاثرين التي أراحت ظهرها على الكرسي، أغمضت عينيها وسرحت بتفكيرها، إريس داهية،لا أحد يعرف قدراته مثلها فهو تربية يدها، يكفي أنه الوحيد الذي استطاع التحايل على أقوى أسلحتها الدخول لأحلام البشر، لكنها ما زالت تريد خليفة له من صلبه يحمل جينات أجداده الذين خدموها بإخلاص، مرضه لن يمهله طويلا، لهذا فإريس يجب أن يظهر قريبا، كانت تعرف جيدا لماذا أغمض عيني صوفيا، هذا يعني أن زيارتها لصوفيا في نومها قد لا تسفر عن شيء لكنها أنغرا ماينيو آلاف السنين من التجارب والخبرات، ستجد حلا، لن تخسر شيئا، فقط ستنتظر أن ينام أحدهما لتحاول معرفة مكانهما، أما الآن فالكرة في ملعب لوكاس وماركوس، ربما يأتيانها بخير جيد.

# الفصل العاشر والأخير

كان إريس يفكر في صوفيا وهو يتحسس طريقة داخل الكهف الذي اتخذته أنغرا ماينيو مكانا لطقوس إحلالها، هل ستستطيع صوفيا أن تفي بوعدها له بالاعتكاف داخل البيت؟ مجرد نظرة من صوفيا خارج البيت قد تكون كافية لكاثرين لمعرفة مكانها، إريس لا يراهن كثيرا على صوفيا فضولها سيغلب عليها، لهذا عليه الانتهاء من عمله سريعا وصل للمدخل السري فحرك بعض أحجاره كما تعلم ليظهر المدخل أمامه، ولجه إريس بأنفاس لاهثة من طرف الإثارة، لو علمت كاثرين ما يقوم به الآن فمصيره الموت.

– أنا ميت على كل حال، فلا بأس بتعجيل موتي بضعة أسابيع

هكذا فكر إريس محاولا السيطرة على انفعالاته، توجه لمنتصف الحجرة حيث يتوسطها رسم بارز لدائرة رسمت داخل مثلثين متداخلين وقد زينا برموز أقرب لحروف من لغة مجهولة، انحنى إريس على ركبته يتفحص الأرض، بأصابع مرتعدة تحسس إحدى الكتل السوداء المبعثرة داخل الدائرة، رفع عينيه ليواجه مجسما لمخلوق غريب مخيف المنظر ثم قال وكأنه يحدثه:

– يبدو أن نهايتك ستكون مقرونة بنهاية سلالتنا

أرخى الليل سدوله وعم الظلام والسكون أرجاء الإمبراطورية، وفي مخدعها استلقت كاثرين في فراشها على ظهرها مغمضة عينيها وقد شبكت يديها فوق صدرها، كان الليل قد دخل ثلثه الأخير عندما لاحت ابتسامة من

كاثرين النائمة، هي الآن داخل أحلام صوفيا.

في توتر جلست صوفيا تهز رجلها في انتظار عودة إريس، لم يطل انتظارها أكثر فدخل عليها إريس لتصرخ في رعب، كان إريس عاريا إلا من سروال قصير بالكاد يصل إلى ركبتيه، وقد ملأ الدم نصفه العلوي، توجه نحوها وعينيها على الخنجر الذي يحمله وهي تتمتم قائلة:

– ما الأمر يا إريس، ما الذي تنوي فعله

أجاب إريس وقد تحول لون عيناه للأحمر:

– رغم ذكائك يا صوفيا إلا إن الحب أعمى قلبك وعقلك

قالت صوفيا برعب وهي تتقهقر حتى اصطدمت بالجدار خلفها:

– أنت لست إريس، من أنت؟

أجاب إريس وهو يقترب منها اكثر:

– بل أنا إريس، زوجك الذي انتظر عامين هذه اللحظة ليقدمك قربانا لمولاه

فتحت صوفيا عينيها في رعب فأكمل إريس قائلا:

– أتعرفين أين نحن؟

هزت صوفيا برأسها مرتعبة وهي تقول:

– وكيف سأعرف؟ لقد جعلتني أغمض عيني

كان إريس قد وصل إليها في هذه اللحظة فمرر الخنجر ببطء على صدرها وهو يقول:

– ألم تتساءلي عن السبب؟ لو ألقيت نظرة بسيطة خارج هذا الباب لفهمت كل شيء

ثم بحركة مفاجئة طعنها بشدة، صرخت صوفيا من الهلع لا من الألم لتجد نفسها جالسة فوق سرير بدائي صنعته من بضع أسمال بالية وجدتها في المنزل الذي تركها فيه إريس.

– يا له من كابوس

قالت صوفيا ثم استلقت مرة أخرى وهي تسترجع أحداث الحلم، توقفت لحظات وصوت إريس يتردد في عقلها.

لو ألقيت نظرة بسيطة خارج هذا الباب لفهمت كل شيء

لو ألقيت نظرة بسيطة خارج هذا الباب لفهمت كل شيء

لو ألقيت نظرة بسيطة خارج هذا الباب لفهمت كل شيء

نهضت صوفيا من مرقدها وتوجهت مترددة نحو باب المنزل، حاولت فتحه فلم تستطع، يبدو أن إريس قد أحكم إغلاقه من الخارج، أخذت صوفيا تنتقل من نافذة إلى أخرى حتى انتبهت لشق صغير في إحدى النوافذ فأطلت منه، احتاجت لبضع ثواني حتى تمكنت من التعرف على ملامح المنطقة المتواجدة فيها.

– أليست هذه شجرة التوت المقابلة لقصر الوزير السابق إيفان؟

تساءلت صوفيا وهي تحاول تحليل ما تراه ثم أردفت:

– صحيح أن القصر مهجور منذ رحيل زوجة إيفان وأبنائها للعيش عند أهلها إلا أنني أعرف القصر جيدا، وهذا المكان لا علاقة له بالقصر

أطرقت صوفيا برأسها مفكرة قبل أن تقول وقد بدأت تستوعب الأمر:

– لا بد وأنني في جناح كبير الخدم، هذا هو المكان الذي لم يسبق لي رؤيته من الداخل، كما أنه معزول على القصر رغم تواجده في مدخله، هذا هو التفسير المنطقي الوحيد لما أرى.

عادت صوفيا لتستلقي بفراشها وهي تضحك على نفسها لأنها شكت في زوجها بسبب حلم، أغمضت عينيها، عليها أن تنام الآن وغدا سيكون شأن آخر.

بعد قرابة ساعة فتحت كاثرين عينيها، ابتسمت ثوان قبل أن تتحول ابتسامتها لضحكة صاخبة.

– لم يخب ظني فيك يا إريس، أنت داهية

قالتها كاثرين قبل أن تتغير ملامح وجهها وهي تردف:

– لكنك تواجه أنغرا ماينيو، لا أحد ينتصر علي

فتحت صوفيا عينيها على طرقات على الباب فقامت مسرعة وهي تهتف:

– إريس

ثم ما لبثت أن توقفت في منتصف الطريق بعد أن تذكرت أن إريس أقفل الباب من الخارج فكيف يطرقه؟

– هذا ليس إريس

قالتها صوفا في همس وهي تنظر للباب في توجس، فأتاها الجواب من الجانب الآخر للباب:

– افتحي الباب يا صوفيا

كان صوتا لا يمكن لصوفيا أن تخطئه فقالت في دهشة:

– مولاتي الإمبراطورة؟

أجابت كاثرين:

– نعم إنه أنا

قالت صوفيا والدهشة ما تزال بادية في نبرات صوتها:

– كيف عرفت مكاني يا مولاتي

قالت كاثرين:

– هل ستتركيني واقفة على الباب كثيرا يا صوفيا؟

أجابت صوفيا:

– العفو يا مولاتي، لكن الباب موصد من الخارج ولا أستطيع فتحه

أتاها صوت كاثرين:

– إذن ابتعدي عنه واتركي أمره لي

كانت صوفيا فعلا على مسافة بعيدة نسبيا من الباب فلم تكن بحاجة للتحرك، ثواني وفتح الباب بقوة لتظهر كاثرين خلفه لتفاجأ صوفيا مرة أخرى بكون كاثرين جاءت وحدها فقالت والاستغراب باد عليها:

– هل أتيت بدون حراستك يا مولاتي؟

أجابت كاثرين:

– وما الغريب في الأمر؟ ألم نعتد على الهروب من الحراسة معا والتجول في الأحراش المحيطة بنا؟

ردت صوفيا مستنكرة:

– كان هذا في طيش المراهقة، أما اليوم فأنت إمبراطورة، عليك الاحتياط أكثر

ثم نظرت للباب المكسور وهي تقول:

– كيف فعلت هذا بالباب؟

ضحكت كاثرين وقالت:

– هناك الكثير لم تكتشفيه عني بعد

ثم أضافت وهي تستدير خارجة:

– هيا بنا سنكمل حديثنا في القصر

تمتمت صوفيا:

– لكن.. إريس...

قاطعتها كاثرين:

– إريس ينتظرنا في القصر، لقد أخبرني أنه علم بتهديدات القادة الثلاث لي، ستكونين في حمايتي إلى أن نتخلص منهم، إريس قدم لي خطة رائعة لذلك وقد وافقت عليها

لم تجد صوفيا حلا إلا أن تتبع كاثرين ما دامت تعرف كل التفاصيل، فلو كانت تريد لها شرا لأرسلت أحد القادة أو تابعيهم، لم تكن تعلم أن كاثرين هي من صنعت أحلامها ليلة أمس، ولولا أن كاثرين تأكدت من أن إريس لم يكشف سرها لها لما كانت الآن على قيد الحياة، أما كاثرين فقد وضعت خطة جديدة لإجبار إريس على تنفيذ أوامرها، مادام الموت لم يعد يخيفه فلا بد وأنه سيهتم بحياة صوفيا.

– لقد ظهر إريس

قالها إمانويل وهو ينحني أمام ماركوس الذي قال بلهفة:

– هل هو حي؟

أجاب إمانويل وهو يشد قامته:

– في كامل صحته يا مولاي، والغريب أنه كان يمشي في ثقة وكأن شيئا لم يحدث حتى أن جنودنا بل ورجال لوكاس أيضا لم يعترضوا طريقه

رد ماركوس وهو يحك لحيته:

– لو كنت مكانهم لترددت في توقيفه

ثم وجه كلامه لإمانويل:
– أين هو الآن؟
رد إمانويل:
– لقد توجه إلى مكتبه، وفي طريقي إليك وصلني خبر أنه ذاهب للقصر الإمبراطوري
قام ماركوس من جلسته وقال لإمانويل وهو يغادر مسرعا:
– إن لم يكن لوكاس قد توجه بالفعل إلى القصر فأخبره أن يلحقني هناك
ثم قال في نفسه:
– اختفاؤك المفاجئ وظهورك الغريب وراءه ما وراءه يا إريس، فلتشل ذراعي إن لم تكن تدبر أمرا جللا أيها الثعلب

كان إريس يقف في بهو القصر خارج قاعة العرش عندما سمع خطوات تقترب منه فالتفت إليها، كانت الخطوات لماركوس القادم بزيه الرسمي.
– مرحبا أيها الوزير، لقد انقلبت الدنيا بسبب اختفائك المفاجئ
قالها ماركوس فأجاب إريس وهو يرسم تعابير الدهشة على وجهه:
– اختفاء؟ عن إي اختفاء تتحدث أيها الوزير؟ ألا يحق لي أن أخلو بنفسي وبزوجتي بين الفينة والأخرى؟
قال ماركوس وهو يبتسم:
– بلا أيها الوزير، لكن منصبك يحتم عليك أن تطلعنا على تحركاتك، لتأمين حراستك أولا وثانيا حتى لا تنتشر شائعات تضر المصالح العليا للإمبراطورية
أشاح إريس بوجهه قائلا:

– لم أعتقد أن الأمر خطيرا لهذا الحد؟

رد ماركوس:

– بل هو كذلك، لقد أصبحت مطلوبا بأمر إمبراطوري يا إريس

نظر له إريس وقال في سخرية:

– حقا؟ لم ألحظ هذا، بل العكس، فلم يعترض أحد طريقي

رد ماركوس بابتسامة:

– ليتني أمتلك هيبتك

استدار إريس نحو ماركوس للرد عليه فلمح لوكاس قادما نحوهما، كان الغضب باد على لوكاس، وكيف لا وهو من تحمل غضب الإمبراطورة الأكبر بسبب اختفاء إريس وزوجته، اقترب لوكاس من ماركوس وقال له وهو ينظر لإريس:

– لماذا لم تلقوا القبض عليه؟

ابتسم ماركوس وهو يربت على كتف لوكاس قائلا:

– تحكم في غضبك يا لوكاس، كان مجرد سوء تفاهم، إريس كان في نزهة مع زوجته

قال لوكاس غاضبا:

– نزهة؟ هل تدري ما تقول؟ منذ متى كان كبار المسئولين يتحركون دون إخبار الحرس الإمبراطوري؟

ثم نظر لإريس الذي كان يرمقه في لامبالاة مما زاد في استفزازه وقال:

– لا بد من عقاب رادع له

أجاب ماركوس في محاولة منه لإغلاق هذا النقاش:

– هذا أمر ستحسمه الإمبراطورة

– الإمبراطورة؟
قالها لوكاس وهو يهز رأسه ثم أكمل:
– هي أيضا قامت بنفس الأمر
نظر له ماركوس في تساؤل وقال:
– ما الذي تقصده يا لوكاس؟
أجاب لوكاس والامتعاض باد على محياه:
– لقد أخبرني الحرس أنها خرجت قبل الفجر بقليل ورفضت أن يرافقها أحد بل كادت تبطش بهم عندما أصروا على مرافقتها
أثارت هذه الجملة انتباه إريس الذي ركز أكثر في الحوار بين لوكاس وماركوس، هذا الأخير قال والدهشة تعتلي وجهه:
– خرجت دون حراسة؟ وأين يمكن أن تذهب؟
رد لوكاس:
– لا نعلم، لكن على الأقل فقد عادت سالمة منذ قليل لكنها لم تكن وحدها
اهتز قلب إريس وهو يتخيل تتمة جملة إريس الذي تابع:
– صوفيا كانت بصحبتها
تزايدت أنفاس إريس وهو يطرح عن مخيلته ما يمكن أن تفعله كاثرين بصوفيا، حاول التماسك حتى لا يظهر عليه شيء لكن ماركوس بفطنته لاحظ اضطرابه فقال له:
– ما الأمر يا إريس؟ هل قال لوكاس ما أثار حفيظتك؟
نظر إليه إريس للحظات حاول فيها استجماع نفسه وقال:
– أنا أستغرب فقط، فليس من عادة الإمبراطورة الخروج وحيدة خصوصا

في هذا الوقت
قال لوكاس:
– كما لم يكن من عادتك الاختفاء أنت وصوفيا
لم يجبه إريس الذي كان ينظر للفراغ وهو يفكر:
– صوفيا..
حبيبتي..
لم تستطيعي الصبر لسويعات فقط، أرجو أن تكوني بخير..
علي التحرك بسرعة..
الآن أو أبدا.
كان إريس قبل لحظات مترددا في تنفيذ خطته، لكن المستجدات الأخيرة ضيقت عليه هامش الاختيار، كان قراره حاسما، سينفذ ما خطط له حتى لو كان آخر ما يقوم به في حياته.
– مولاتي الإمبراطورة
كان هذا نداء الحاجب معلنا وصول كاثرين المرفقة بحارسها أنطوان والتي تقدمت بخطوات ثابتة مسرعة نحو قاعة العرش التي فتحت باباها على مصراعيهما، وفقت كاثرين بجانب إريس الذي انحنى لها وقالت بسخرية هامسة له حتى لا يسمعها البقية:
– صوفيا تبعث لك بتحياتها وتخبرك بأنها في حماية الإمبراطورة، لقد تركتها في مخدعي حتى أنتهي منك
ثم تابعت مقهقهة:
– لم أكن أعلم أنك تملك خيالا خصبا يا إريس، أعجبتني القصة التي رويتها لها

بقي إريس منحنيا صامتا فاسترجعت كاثرين صرامتها وقالت:
– ليتني أعلم ما في دماغك يا إريس، لكني واثقة من أمر واحد
ثم أكملت طريقها وهي تقول:
– عقابي لك سيكون قاسيا
دخلت كاثرين قاعة العرش وتبعها ماركوس ولوكاس بينما بقي إريس واقفا ينظر للفراغ كمن فقد عقله، لكنه في الواقع كان يعيد حساباته، أفاق على وكز الحاجب له وهو يقول:
– مولاي الوزير، الإمبراطورة تريدك حالا
ابتسم إريس وهز رأسه للحاجب وهو يقول في نفسه:
– مستعجلة على نهايتي أم نهايتها؟
دخل إريس قاعة العرش واتخذ مكانه المعتاد دون أن ينظر لأحد من الحضور وهو ما أثار استغراب ماركوس الذي قال مخاطبا إريس:
– حال الوزير لا يعجبني، هل هناك ما تخفيه عنا يا إريس؟
أجاب إريس دون أن يرفع عينيه:
– ستعرف كل شيء بعد قليل يا ماركوس
تفاجئ ماركوس برد إريس بعد أن كان ينتظر إنكاره فلم يجد ما يقوله إلا أن أنطوان تدخل قائلا:
– ولماذا لا نعرف الآن يا إريس؟ نعلم جميعا أن اختفاءك وراءه أمر خطير أيها الوزير، فأخبرنا به
بقي إريس صامتا فتأفف لوكاس في ضيق وقال:
– نحن نضيع وقتنا
أسكتته كاثرين بإشارة من يدها وهي تقول:

– إريس لن يتكلم في وجودكم، أليس كذلك يا إريس؟
رفع إريس عينيه في اتجاهها ثم أخفضهما لتردف كاثرين:
– أريد أن أختلي بوزيري، ليخرج الجميع
حاول أنطوان أن يعترض لكن نظرة صارمة من كاثرين أخرسته ليكون أول الخارجين ثم تبعه لوكاس وماركوس.
تحركت كاثرين بسرعة لا تناسب البشر لتقطع الأمتار التي تفصلها عن إريس وتمسكه من رقبته وهي تقول:
– ماذا تظن نفسك فاعلا؟ هه؟ هل ظننت أنك تستطيع ملاعبتي؟ لا أحد يمكنه التغلب علي
آلام شديدة شعر بها إريس وهو يخرج الكلمات من حلقه المخنوق قائلا:
– إلا هذا
فجأة أحست كاثرين بضعف شديد لترتخي قبضتها من على عنق إريس، أحس إريس بضعف قبضة كاثرين فأزاحها بسهولة وألقى بكاثرين أسفله ثم اعتلاها وهو يقول:
– سبينتا ماينيو

– أحسنت يا إريس
قالها العجوز وهو يتابع إريس الذي انتهى لتوه من كتابة بعض الطلاسم حول الدائرة المرسومة على أرضية الكهف ثم تابع قائلا:
– لم يبق إلا إحضار الأميرة كاثرين
أجاب إريس وهو يراجع ما كتبه:
– لقد قطعت شوطا طويلا يا مولاتي، قريبا سأكون من الحاشية المقربة

للإمبراطور
جلس العجوز على كرسي في ركن الحجرة وهو يقول:
– هذا الجسد لم يعد يتحمل طاقتي أكثر، سيفنى قريبا
ثم أشار لصندوق في الجهة المقابلة وهو يقول:
– لولا هذا الصندوق لما استطاع جسد أن يتحملني أكثر من عشر سنوات على الأكثر
نظر إريس للصندوق وقال في فضول:
– ما الذي يحويه هذا الصندوق؟
أخذ العجوز نفسا عميقا ثم أجاب وهو مغمض العينين سارحا في ذكريات آلاف السنين:
– تلك بقايا من جسد أخي التوأم
ردد إريس في تعجب:
– أخوك التوأم؟
قال العجوز وكأنه يكلم نفسه:
– أجل، سبينتا ماينيو لم يبقى منه إلا ما يوجد في هذا الصندوق
( سبينتا ماينيو روح خيرة في أساطير الفرس كان يمثل الحقيقة والنور والحياة، لو اعتبرنا أنغرا ماينيو مرادفا للشيطان فسيكون سبينتا ماينيو بمثابة جبريل لدى المسلمين أو روح القدس لدى المسيحيين)
كان الفضول يقتل إريس فقال متسائلا:
– وما المميز في بقاياه حتى يجعل أجساد البشر تتحمل طاقتك لمدد متضاعفة؟
ضحك العجوز وهو يقول:

– سيقضي عليك فضولك يوما ما يا إريس
ركع إريس على ركبته وهو يقول
– اعذري فضولي يا مولاتي
نهض العجوز وسار نحو الصندوق، وقف يتأمله قليلا ثم فتحه وأخرج منه كتلا سوداء لزجة، تحسسها قليلا بأصابعه ثم استدار لإريس قائلا:
– أنا الآن لا أملك أية قوى، بقايا أخي تمتص طاقتي كاملة، لكني لا أفقد سيطرتي على الجسد، بهذه الطريقة أعيد شحن خلايا الجسد مرة كل عامين فتطول بالتالي المدة التي يستطيع أي جسد تحملها، ليس هذا فحسب لكن لولا هذه البقايا لما نجحت طقوس الإحلال، فأثناء هذه الطقوس تتحرر طاقة رهيبة تمتصها بقايا سبينتا ماينيو ولولا ذلك لاحترق جسد البشري قبل إتمام الطقوس
لم يكن إريس قد حضر طقسا من هذه الطقوس من قبل فتساءل في تردد:
– هل يكفي تواجد الصندوق في الكهف لإتمام طقوس الإحلال؟
أجاب العجوز:
– كلا، بل يجب أن تكون بقايا أخي قريبة مني، والدك هو من وضعها في هذا الصندوق عندما انتقلنا إلى هنا
ثم أكمل وهو يشير للدائرة المرسومة على الأرض:
– أما أنت فستعيد بعثرتها داخل الدائرة، لا داع لإعادة جمعها مرة أخرى ما دمنا لا نعتزم تغيير الكهف، فهي لا تتأثر بأية عوامل خارجية
– أمر مولاتي
قالها إريس وهو ينظر للكتل السوداء التي ألقاها العجوز أرضا.

رغم إحساس العجز البشري الذي شعرت به أنغرا ماينيو إلا أنها لم تكن تعرف للخوف معنى فنظرت بأعين كاثرين لإريس بغضب شديد وقالت بصوت مخنوق:

– أيها الخائن، حسابك سيكون عسيرا

أجاب إريس:

– لن تستطيعي فعل شيء يا مولاتي ما دمت أحمل بقايا توأمك، خطؤك أنك اخترت جسد فتاة ضعيفة لا تقوى على مقاومة من هو في مثل قوتي أحاط إريس عنقها بكفيه وبدأ بخنقها بشدة لترتعش كاثرين وتتغير النظرة النارية التي كانت تعلوها إلى نظرات رعب وألم مع حشرجة خرجت منها كلمات سمعها إريس بصعوبة:

– أسرع يا إريس! أنه الأمر!

ارتخت أيدي إريس لتنطلق شهقة من كاثرين حاولت بها ملأ رئتيها بالهواء، نظر لها إريس بدهشة للحظات وقال:

– هل هذه أنت يا حبيبتي؟

أطلت من عيني كاثرين نظرة مستغربة قبل أن تقول:

– أنت تسمعني يا إريس؟

أمسكها إريس من وجنيتها ورفعها إليه قائلا بعينين دامعتين:

– أنه أنت فعلا يا حبيبتي، لقد عدت أخيرا

عادت نظرة الرعب لعيني كاثرين فأمسكت إريس من ياقته وهي تقول:

– كلا يا حبيبي، لم أعد، ولن أعود أبدا كما كنت، أنغرا ماينيو تحاول التلاعب بك، أنا أقرأ أفكارها الآن، ستستغل حبنا لتدميركما يا إريس، هي من سمحت لي باستعادة السيطرة على جسدي، لكن لا تنخدع، اقتلني يا

إريس، اقتلني يا حبيبي، سينتهي الأمر بمجرد مغادرة روحي لجسدي
أجاب إريس والدموع تخنق كلماته:
– لا أستطيع يا حبيبتي، لا أستطيع
ردت كاثرين وقد بدأت الدموع تنهمر من عينها:
– إن لم تفعلها الآن فستموت أنت وصوفيا بأبشع صورة، أسرع قبل أن يحس من بالخارج بالأمر
قال إريس والألم يعصر قلبه:
– سامحيني يا حبيبتي، أنا من وضعك هنا
أجابت كاثرين ونفسها يتقطع:
– لقد سامحتك يا إريس أبلغ سلامي إلى صوفيا، أخبرها أنني.....
توقفت كاثرين عن الكلام فجأة، تحولت نظرة الرعب في عينيها إلى نظرة توسل فيما تزايدت الدموع الصامتة انهمارا، يبدو أن أنغرا ماينيو استعادت السيطرة على لسان كاثرين، لكنها تركت نظرة كاثرين البائسة في محاولة أخيرة منها لتثبيط همته.
كان إريس يبكي بحرقة، كان يعلم أن كاثرين الحقيقية توجد هنا في مكان ما، لكن لم يتوقع أن تطلقها أنغرا ماينيو، لقد صعبت عليه الأمر كثيرا، لكن كاثرين محقة، الآن أو أبدا.
بأيد مرتعدة حاول إريس خنق كاثرين من جديد إلا أن همته كانت قد ضعفت قليلا مما سمح لكاثرين بمقاومته، فأغمض إريس عينيه ليقوم بآخر حركاته.
بطريقة سريعة وخاطفة حتى لا يترك لنفسه مجالا للتردد أدار إريس رأس كاثرين بقوة فسمع صوت فرقعة عظام رقبتها، فتح عينيه ببطء لتطالعه

نظرة خاوية من عيني كاثرين، تجمعت الدموع في مقلتي إريس وارتعدت شفاهه قبل أن تخرج صرخته مدوية في القصر كله:

– كاثرين

كانت صرخة إريس الباكية كفيلة بإثارة انتباه كل من سمعها، فكان أول المستجيبين لها هو أنطوان الذي جرد سيفه من غمده واقتحم الباب يتبعه كل من ماركوس ولوكاس والحارسين، كان إريس يحضن كاثرين ويبكي بحرقة فصرخ فيه أنطوان:

– ما الأمر؟ ما الذي حدث؟

نظر له إريس بعينين دامعتين دون أن يجيبه في الوقت الذي تحرك فيه ماركوس ليدفع إريس عن كاثرين ويفحصها قبل أن يقول بعينين جاحظتين:

– لقد ماتت الإمبراطورة

صرخ أنطوان وعقله لم يستوعب الأمر بعد:

– ماذا؟ ما الذي تقوله؟

ثم انقض على إريس وأمسكه من ياقته قائلا:

– كيف حصل هذا؟ تكلم!

نظر له إريس كشخص مغيب العقل وقال:

– لقد قتلتها، لا لا، لقد حررتها، حبيبتي حرة الآن، كلنا أحرار الآن

صرخ أنطوان وألقى إريس أرضا دون أدنى مقاومة من هذا الأخير وهوى عليه بسيفه لولا تدخل لوكاس الذي اعترض بسيفه سيف أنطوان، ليصرخ أنطوان في وجهه:

– هل جننت يا لوكاس؟

حاول لوكاس تهدئته وهو يقول:

– يجب أن نفهم ما وقع يا أنطوان، بعدها سيعدم

كل هذا وماركوس ما يزال على ركبتيه بجانب كاثرين يرقبها بعينين دامعتين، قبل أن ينهض ويهوي بمقبض سيفه على رأس إريس ليفقده الوعي وهو يقول:

– الشيء الوحيد الصحيح الذي قلته يا لوكاس أنه سيعدم، فلا أنا ولا أنطوان نريد أن نفهم شيئا إلا إن كان هذا سيعيد الإمبراطورة للحياة، أرى أن تقام المحاكمة الآن

كان لوكاس يعلم أن لا فائدة في محاولة إقناع ماركوس خصوصا وأن رأيه من رأي أنطوان لهذا فقد هز رأسه موافقا، وضع ماركوس قدمه على صدر إريس الغائب عن الوعي وقال:

– هذا النذل متهم بالخيانة العظمى وباغتيال الإمبراطورة، فما قراركم

أجاب أنطوان بسرعة وهو يغالب الدموع:

– مذنب

قال لوكاس أيضا:

– مذنب

نظر ماركوس لإريس الذي لم يستعد وعيه بعد وقال:

– الحكم هو الإعدام في ميدان عام

ثم استدار للحارسين وأشار لأحدهما قائلا:

– أعلن في العامة أن عملية إعدام ستجري بعد قليل، ليأتي من يريد حضورها

ثم قال للآخر:

– أبلغ صوفيا بما حصل! قد تريد رؤية إعدام زوجها

أمام القادة الثلاث جر جنديين الوزير إريس وهو فاقد الوعي بين الحشود التي تعالت همهماتها وهي تحاول استفسار الأمر، في حين كانت صوفيا التي وصلها الخبر تبكي منهارة وهي تقول:

– قتلتم مولاتي واتهمتم زوجي، تقتلونه ظلما أيها الخونة، لن يذهب دمه هدرا، ستكون دمائه لعنة عليكم أجمعين

قي منتصف الميدان الكبير وضع الجنديان إريس في مكانه قبل أن يأخذ أحدهما دلو ماء ويصبه على رأسه لينتفض مستعيدا وعيه.

فتح إريس عينيه فرأى الأرض أمامه وعنقه فوق خشبة الإعدام

فجأة تذكر كل شيء

– أنت ترتكب خطأ كبيرا.. ما كنت لأؤذيها أبدا

خرجت الحروف ضعيفة من فم إريس لكنها مسموعة.

– قل هذا الكلام للشيطان عندما تقابله في الجحيم الذي سأرسلك إليه

أجابه ماركوس قبل أن يتبع كلامه بأمر اجتمعت المدينة كلها لتشهد تنفيذه.

– نفذ!

رفع الجلاد فأسه ليهوى على رقبة إريس ليتفاجأ الجميع بهذا الأخير يقع أرضا على جانبه الأيسر دون حراك، تردد الجلاد في تنفيذ الحكم ليصرخ ماركوس في الجنود:

– ما الذي تنتظرونه؟ اعدلوه مرة أخرى!

تحرك اثنان منهم استجابة لأوامر ماركوس، انحنى أحدهما على إريس يفحصه ثم رفع رأسه قائلا:

– لقد مات يا سيدي

كان المرض قد بلغ بإريس مبلغه وزادت من مضاعفاته الانفعالات التي تعرض لها في الساعات الأخيرة فاستسلم جسده للموت بعد أن أدى مهمته الأخيرة، فصوفيا الآن بأمان.

لحظات من الصمت الرهيب عمت الميدان لم يقطعها إلا صوت أنطوان الذي صعد منصة الإعدام دافعا الجنديين ليجذب إريس من ملابسه وهو يصرخ:

– انهض أيها النذل! انهض والق مصيرك المشؤوم! انهض لأرى رأسك تطير جزاءا لما اقترفته يداك!

حاول لوكاس بمعاونة ماركوس تخليص جثة إريس من بين يدي أنطوان وهو يقول له:

– عد لرشدك يا أنطوان، لا فائدة في ما تفعل

أجلس ماركوس أنطوان على درج المنصة قبل أن يلتفت للطبيب الذي يفحص الجثة بنظرة متسائلة، هز الطبيب رأسه في أسف وهو يقول:

– ليس هناك ما يمكن عمله، لقد مات الوزير

ابتسم ماركوس بجانب فمه في سخرية وقال:

– حتى في موتك تنتصر علي يا إريس

ثم وجه كلامه للحضور صارخا:

– ليعد الجميع لمنازلهم، لم يعد هناك ما يمكنكم رؤيته

بدأت الحشود المجتمعة تغادر الميدان باستثناء صوفيا التي توجهت نحو جثة إريس وهي تتعثر في مشيتها، انحنت على إريس وهي تبكي في صمت، قبلت جبينه ثم أمسكت يده ومررتها على بطنها وهي تقول:

– كنت أخبئ لك مفاجئة ستسعدك يا إريس، ماذا سأقول لابننا عندما يسألني عن أبيه

شعرت بيد تربت على كتفها فاستدارت لتجد أحد الجنود ينظر إليها في شفقة، لم يكن يحتاج للكلام لتعرف مراده، نهضت مفسحة له الطريق ليضع بمساعدة جندي آخر جثة إريس في محفة لحملها نحو مثواها الأخير.

كان يوم شاقا لماركوس، فبعد ما حدث في الميدان الكبير توجه القادة وكبار المسئولين للقصر الإمبراطوري لمناقشة من سيتولى الحكم بعد الفراغ الذي تركته كاثرين، هناك من اقترح تكوين مجلس للحكم وهناك من اقترح الأكبر سنا لكنه لن يسمح لأحد بأخذ العرش منه، فهو الأحق به، لطالما رأى نفسه في القمة فلولا ظهور إريس في الإحداث لكان اليوم هو الإمبراطور، ما كاد ماركوس يضع نفسه في الفراش حتى استسلم للنوم سريعا، كان فعلا يومه شاقا ومتعبا.

– ماركوس، ماركوس

فتح ماركوس عينيه ليطالعه وجه كاثرين المبتسم، أجابها بابتسامة

– كاثرين؟

قبل أن يتذكر ما حدث ليهب مفزوعا وهو يقول:

– من أنت؟ أنت لست كاثرين، لقد دفنتك بيدي

أجابت كاثرين بدلال:

– اهدأ يا ماركوس، أنا كاثرين فعلا، صحيح أنك تحلم لكني موجودة فعلا، أتيت لأني أحتاجك يا حبيبي

رد ماركوس وقد بدأت الدهشة تعلو وجهه:

– تحتاجينني أنا؟ في أي أمر؟

قالت كاثرين وهي تدور حول ماركوس:

– ألا تتمنى عودتي للحياة يا ماركوس؟

قال ماركوس والدهشة ما تزال تسيطر على تعبيراته:

– وهل هذا ممكن؟

أجابت كاثرين:

– طبعا ممكن، وعندما يحدث سأكون لك وحدك يا ماركوس، ما زال حبك لي ينبض في قلبك لهذا اخترتك أنت

نظر لها ماركوس في عدم فهم فقالت:

– سأشرح لك كل شيء يا حبيبي

ثم أشارت للقمر الضخم الأحمر الذي يزين السماء:

– ماذا تعرف عن قمر الدم؟

# الفهرست


**يوم الإعدام ..... ٥**

**الفصل الأول..... ٦**

**الفصل الثاني..... ١٢**

**الفصل الثالث..... ٢٦**

**الفصل الرابع..... ٤٤**

**الفصل الخامس ..... ٥٧**

**الفصل السادس ..... ٧٦**

**الفصل السابع ..... ٩٢**

**الفصل الثامن ..... ١٠٩**

**الفصل التاسع ..... ١٣٥**

**الفصل العاشر والأخير ..... ١٥٩**

# عن الدار ومشروع النشر الحر

**دار لوتس للنشر الحر** هي أول دار نشر حرة يملكها كل كاتب، تعتمد مبدأ النشر الحر من خلال مشروع طموح يهدف إلى تخطي عقبات النشر ومساعدة الكاتب للنشر بطريقة تمنحه الحرية الكاملة وكل الحقوق والصلاحيات للتعامل مع كتابه دون استغلاله مادياً أو معنوياً، ودون احتكار لمجهوده الفكري في عملية تجارية، وبدون تكلفة مالية.

هي مشروع خدمي وليس تجاري، تدعم الكاتب الموهوب وتسانده، تحاول الارتقاء بمستوى الأدب وتهدف إلى احترام الكاتب والقارئ من خلال نشر كل ما هو جيد دون الإساءة لشخص، أو أشخاص، أو مؤسسات، أو أفكار، أو عقائد، أو ديانات، أو أنظمة سياسية.

**دار لوتس للنشر الحر**
**مصرية مغربية، تأسست في مايو ٢٠١٧**

# إصدارات المشروع

قلم عطر
وعادت ريما
مثل ليلة حب
وكأني أحبك
عالم قراطيس قراطيس
أوتار
دماء على ثوب أبيض
أموات فوق الأرض
بقلم رصاص
حريق على الجسر
القدرات السحرية
العالم لن ينتظرك
عندما ينتحب الياسمين
مرايا
البوهيمي
أيها الشباب لا تفقدوا الأمل
خريف مريم
حلم صريع
مُتيم
يوميات رجل محسود
هدوء ما قبل الانفجار
الموؤودة
أنين المساجد
صوت السماء
طبق كشري
وأحببتك بعين قلبي
ما لا تعرفه عن الهجرة
الأيام الأخيرة
موانئ الرغبة
١٠٣
زمن الحنين
أوراق على دفتر الحنين
أحببتُ شبحاً

حكايات من التاريخ
كلمات ربي (ج١)
وشم على كتف الحياة
كيتو ياكيفو
يتيمة بأبوين
مائة عام على كوكب الأرض
نبوءة عاشق
رصيف نمرة ٢
قمر الدم
حنين الحنين
نساء وقيود
الآهات المكبوتة
عن الذي استدان ليشتري الشقاء
كتبتُ أحبك
فلاكا
الآدم وهي
أحلام فجر
مفاهيم إدارية لثالث ألفية
عاشق الضي
أنامل قصصية
مملكة روح
ماهر وسماهر وبئر النسيان
الضال
خليج بلا وافدين
في ليلة شتا
الشيطانة وعصا الجحيم
أنين وردة
لا تتعجلي الرحيل
بدون
من الأكاديمية إلى الفيلا
بردية رع (ذهاب وعودة)
كاتب ونساء وعبث
جيهينا

مذكرات خادمة من مونار
بعيداً عن العالم
قمر الدم (العودة)
سئمت الغربة
هكذا ضعنا
حلم
شيء من قلبي
قطوف وحروف
عائدة من الموت
شياطين السموم
حوار في الأفكار
وأد الزهور
أغاني البادية
الفراشة البيضاء
مدينة حرف
عذرية ما قبل الواحدة صباحا
حواديت مدينة الرحاب
الضحية
غيمات حبر وحب
كهف الجحيم
الحبيب المستحيل
تنمية التفكير الابتكاري للطفل
المنهج الإصلاحي
نفيش
ورد وشظايا
ولوج
الفن مين يعرفه
كريتوس
عهد
نبض حرف لا يخون
عبد اللاه
ساكني الكهوف
أخبرت البحر عنك

أحرفي تتراقص
لا تحزني
حلم عاشق
إحساس درويش
أقلام حائرة
خشوع بمحراب الحب
قمر الدم (رحيل الآلهة)
أرض الفيروز
عبرات ضاحكة
أنا يحيى
نظم المعلومات المحاسبية
حكاياتي المحروسة
حروف من قلبي
على الأعراف
زواج افتراضي
رجماً بالغيب
ألمانتا
خواطر مع الريح
شمعة وقلم أحمر
أسلوب العدول في القرآن الكريم
الفستان الأزرق
سيجار ولص ومأذنة
الحب المفقود
القيامة الوردية
كلمات متقاطعة بالشمع الأحمر
لماذا رحلت؟
جدال
التقارير المالية
موسم التوت
عبث
سلسلة المحاسب المتميز (ج١)
هل ستغفر لي
سفاح المدينة
ناروبري
حبيبة أمها
التيسير في علم التأسيس
همسات ونسمات

الملاك الأسود
ملكوت السلطانة
أنات عاشق
ساعة من الزمن
زمان غادرنا
رقة النسائم
سبعة أحلام
في انتظار المد
نداء القلوب
درب الحكايات
ضجيج البحر
من تربة الورد خلقت
شهوات العقل
قطرات منثورة
أكروفوبيا
خِدر مسلوب
دروب ملتوية
سوط الذكريات
الأخيذة (قضية رأي عام)
المأدبة
سيناء أرض العبور
الذكاءات المتعددة
دكتاتورية الحب
الفراشات لا تسكن القبور
تذكرة سفر
وخشعت قلوبهم
وطن الجومانجي
نموذج بايبي البنائي
المدينة الهادئة
السفينة
رشفة عشق
المسكالين
حرف تايه
حروف نابضة
الراقدون فوق التراب ج١
أيقونة حروف عربية
ولاد الشيخ
فضفضة

الراقدون فوق التراب ج٢
بائعة اللبن
مركب شراع
غشاء حضارة
عظماء في الظل
الوصايا
معك دائما
نون وياء
اليمني
عندما يفوح الياسمين
عنوان مجهول
ترانيم
من بعد غياب
الرحيل إلى الداخل
ليالي باريس الحزينة
هكذا تكلم أبي
النحو الميسر
قيد الماس
أرض دي بلو
مناجاة
لحظة داخل إنسان
الذين أخفوا الشمس
أقلام نابضة
حكايا منتصف الليل
برواز على جدار القلب
كبير العيلة
وصمة عار
أخرى بضم الألف
اغتصاب أعشاب البحر
في ظل الحبر - ج١
أصعب فراق
للحب أكتب (أحمد وأحلام)
للحب أكتب (نادر ونورهان)
للحب أكتب (فارس ونادين)
اعرف دينك (ج١)
علماء صاروا شهداء
ضفاف
تأشيرة حياة

مجانين لا يدخلون الجنة
وجوه عابرة
امرأة خرافية
فيلم كارتون
أحوال منطقة أزواغ
محاولات
أربعون عام من الفقر
حطام زاحف
فوق السحاب
كلمات الحياة
إعصار الدم
العشق المنتظر
إيزيس
بذور الدم
حديث إلى النفس
موشور اللا متناهية

شركة لوتس للإنتاج والتوزيع

## كتاب لوتس - مشروع النشر الحر

www.lotusfreepub.com

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٦٢١ / ٢٠١٨

غير مخصص للتوزيع التجاري - يوزع بسعر تكلفة طباعته فقط

يجوز نشر هذا الكتاب إلكترونيا مجاناً بعد عام من تاريخ صدوره
بعد موافقة الكاتب

مرخص أيضاً بموجب رخصة المشاع الإبداعي - نَسب المُصنَّف ٤,٠ دولي

هشام الحمراوي

# لعنة رحم

رواية

هز إريس رأسه في طاعة والدموع تخنقه، أبقى عينيه على كاثرين حتى توارت بين الأشجار، هذه المرة لم تكن نظراته لها نظرات حب ولا حتى نظرات تبجيل وتقديس كما كان الأمر مع "إنغرا ماينيو"، بل كانت نظرات غضب ووعيد.

دار الوتد للنشر الحر